

تنوع الأفعال بين الفك والإدغام

في الذكر الحكيم

دراسة بلاغية

تأليف

د/ إبراهيم صلاح الهدهد

أستاذ البلاغة والنقد

كلية اللغة العربية — القاهرة

جامعة الأزهر الشريف

الطبعة الأولى

٢٠٠٣ / ١٤٢٤هـ

(۲)

مُتَكَلِّمَاتُ

اللهم إني أضرع إليك أن تأخذ بناصية هذه الأمة إلى الرشاد والهدى ، وأن تدفع عنها ما حل بها من النوازل ، وأن تعز هذا الدين بعزتك ، وأن تنصره بقدرتك ، كما أسألك يا رب أن تجعل لنا من أنوارك نورا يرينا الخير والشر ، بصورتيهما ، ويعرفنا الحق والباطل بحقيقتيهما ويجلو بصائرنا وأبصارنا حتى نكون ممن يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، وأنزل يا رب على قلوبنا سكينه من عندك ، وصل على نبيك سيدنا محمد وآله صلاة ترفع بها درجاتنا ، وتتجاوز بها عن سيئاتنا ، واغفر لنا ولشيوخنا وللمسلمين ، وبعد

فإن هذا البحث يخرج في صورته هذه ، وأرض العراق قد سقطت بيد أبنائها ، وأبناء المسلمين حين توسلوا إلى العدو ليطغوا عليها جهارا نهارا ، وتفخر بذلك المتفخرون ، وزعموا أن العدو جاء ليملأ دنيا المسلمين خيرا ، مما يجعل الحسرة يعجز عن وصفها كل قلم حر ؛ إنها أرض التفسير والحديث والفقه والنحو والصرف والبلاغة والأدب والتاريخ والطب والرياضة وغير ذلك ، يا ويل الأمة من حزن نوح ويونس ابن متى وإبراهيم الخليل — عليهم السلام — يا ويل الأمة من حزن أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ، وسيبويه والكسائي والفراء والجاحظ — رضوان الله عليهم أجمعين — وغيرهم ، يا ويل الأمة من حزن البصرة والكوفة وبغداد ونيوى والموصل ، يا ويل الأمة من طعنة تليها طعنات ،

واستلاب من بعده استلاب ، ودار العراق على مر التاريخ كانت دار ابتلاء ومحن كما كانت دار حضارة وتراث ، إلا أنها كم كبت وهضمت، وكم تعثرت ثم انطلقت ، ولقد كان علماء الأمة على وعي بما تقتضيه النوازل في عصورهم من التوجه نحو تراث الأمة حفظا ودرسا وبحثا وتأليفا ، فهذا ابن منظور يكتب لسان العرب يجمع فيه علم من سبقه من أسلافه فتجد فيه التهذيب والصحاح والمقاييس وغيرها لما دنست أرض العراق يد التتار ، ثم يرمى هو وأمثاله من سفلة الأمة بأنهم جماعون نقله مع أن صنيعه ومثله كان السبيل إلى حفظ تراث الأمة ونقله إلينا حين لم يكن سبيل سواه ، وكم من كتب فقدت ولم يعثر عليها إلا في كتب أخرى نقلتها ووعتها ، إلا أن ذلك يأتي في حلقة تلت حلقات ، وتتلوها حلقات في النيل من تراث هذه الأمة وتنقيصه والازدراء به ، ووسم من يشتغل به بالتخلف والتقهقر ، وهذا ومثله مما يدفع إلى البحث والنظر والاشتغال بهذا التراث نفضا للغبار عنه، وتوليدا له واستنباتا لأفكاره، وبناء عليها ، وأن يشتغل كل في ميدانه ، وأن يلح كل على طرق باب المعرفة التي يحسنها ، ذلك هو السبيل إلى النصر ولا سبيل سواه ، وبه هزمنا أعداءنا من قبل ، وبه سحقونا من بعد ، لما تخلىنا عن هذا السبيل، وشغلنا عنه حب الدنيا مع أنه السبيل إلى حياة الدنيا والآخرة ، وقد كان سلفنا الصالح على وعي بذلك ، هذه تتمات ذكرتها في صدر هذا البحث جريا على نهج السلف في بيان ملابسات مؤلفاتهم ، وعيا بما يدور حولهم ، وشحذا لطلاب العلم وذويه .

وهذا بحث سميته (تنوع الأفعال بين الفك والإدغام في الذكر الحكيم) دراسة بلاغية ، وهو بحث يحاول الكشف عن جمال صورة من صور الفعل (المسند) نبهني إليه البقاعي — رحمه الله — في إشارات ولطائفه ، ولم أجد لسواه — فيما توفر لدي من تراث السلف — كلاما في هذا الباب ، كما أن تراث السلف والخلف اشتغل بهذه الظاهرة من حيث الأداء والمباحث الصرفية التي جمعت الصور التي يرد عليها الإدغام وحالات جوازه ووجوبه وامتناعه ، ولم تخرج تعليقات السلف والخلف في التراث النظري عن أن ظاهرة الإدغام تشكل تطورا في أصوات العربية ، وأن الإدغام اتجه للتخفيف ، ومعلوم أن التخفيف من المقاصد التي تطمح إليها النفس ، ولكني أقول : لئن كان الأمر كذلك ، فما القول فيما وقع في الذكر الحكيم مفكوكا وكان السبيل إلى إدغامه يسيرا؟ ألا يدل هذا على أن الفك اتجه إلى النقل ، فأى بلاغة كائنة وراء التعبير بالفك في قوله — تعالى — (ومن يرتدد منكم عن دينه . . .) في سورة البقرة ، والتعبير بالإدغام في قوله (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) في الآية من سورة المائدة ، مع أنه حديث عن أمر واحد؟ هذا ما تتجه إليه همة هذا البحث ، وقد افترضت جوابا عاما لما طرحته ، هو : أن الإدغام اتجه إلى التخفيف ، ويأتي تلبية لمطلب السياق ومقتضى للمقام ، وأن الفك اتجه للنقل يأتي تلبية لذلك أيضا ، وأن لكل فعل حالي الفك والإدغام لطائف وإضاءات ينبرها السياق ويجليها المقام ، وقد رأيت أن اصطفي من حالات الإدغام الجواز ومن صور الفعل ما اتفقت

صورته (ماضيا أو مضارعا أو أمرا) حالي الفك والإدغام ، ومن ثم سميته تنوع الأفعال وقد اجتمع لي بناء على هذا الشرط خمسة عشر فعلا ، وزعت على أربعة وعشرين ومائتي موضع في الذكر الحكيم ، وقع المدغم منها في سبعة وستين ومائة موضع ، ووقع المدغم في مقابله في سبعة وخمسين موضعا ، وقد أبصر هذا البحث أن لاسييل إلى فقه سر الفك والإدغام سوى إبصار سياق الحال والمقال الذي ورد فيه الفعل، فاصطفى الباحث منهج الموازنة بين السياقات التي ورد فيها الفعل المفكوك والمدغم لإبصار الملاءمة بين صورة الفعل وسياقه ، وقد خرج البحث في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات.

التمهيد : وتناولت فيه : (الإدغام لغة — الإدغام اصطلاحا — نوعي الإدغام — حالات الإدغام — الجهود السابقة في ظاهرة الإدغام — أولا : علماء اللغة والأصوات — ثانيا : النحاة وظاهرة الإدغام — ثالثا : حديث البلاغيين في فصاحة المفرد عن الجانب الصوتي وعلاقته بظاهرة الإدغام — وقفة مع القدامى والمحدثين في ظاهرة الإدغام — الفك والإدغام محل البحث — مواضع الدراسة)

الفصل الأول : أسرار تنوع الأفعال بإدغام المثليين وفكهما ، وتناولت فيه الأفعال التالية (يشاق ، يشاقق — يغل ، يغلل — يرتد ، يرتدد — أتم ، أتمم — يحل ، يحلل — تمن ، تمنن — يمد ، يمدد — يمس ، يمسس — يقص ، يقصص — يضل ، يضلل — يحب ، يحبب)

الفصل الثاني : أسرار تنوع الأفعال بإدغام المتماثلين بعد الإبدال وفكهما ، وتناولت فيه الأفعال التالية (يزكى ، يتزكى — يضرعون ، يتضرعون — يدبروا ، يتدبروا — يذكرون ، يتذكرون) وقد جريت على فحج في تناول هذه الأفعال ، فكنت أدون الآيات التي وردت فيها الأفعال محل البحث ، ثم أرتب سورها حسب

التزول لما لإبصار حال التزول من أثر في فقه القرآن الكريم ، فهو يشكل جزءا من المقام لا محيص للمتفهم عنه ، ثم أتناول الفعل المدغم موصفا ، موصفا محاولا إبصار سياق الحال والمقال، ومقصد السورة التي ورد الفعل فيها، وفارقات التراكيب ، واطرد ذلك سبيلا لي في فقه مواضع البحث، وهو السبيل الذي صح لدى الباحث وسيلة للوصول إلى نتائج يرجو ربه أن تكون طيبة .

الخاتمة : وهي لأهم نتائج البحث .

هذا ، ولما كان هذا البحث أول طارق لهذا الباب ، فكم من عثرات تحصى للأول ، وحسبه أنه فتح الباب وسدد وقارب ، وبذل الوسع ، وليس له ولا سواه أن يدعي عصمة من زلل، ولا نزاهة من عيب، لكنه جهدي وعملي فإن أصاب فذاك عطاء لا يقادر قدره ، وخير لا يداني عطاؤه ، وإن كان غير ذلك فحسبي أنني بذلت وسعي واجتهدت طاقتي وخرج عملي على صوري ، وإني أستغفر الله من قول بلا عمل، ومن زلل لم أعمد إليه ، وأصلي واسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأمته .

كتبه

إبراهيم صلاح المدهد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

كلية اللغة العربية — القاهرة

جامعة الأزهر الشريف

مَهَيِّدٌ

حينما نطالع تراث السلف والخلف نجد ظاهرة الإدغام من الوجهة النظرية قد نالت حظا وفيرا من البحث والدرس ضبطا لمفهوماته؛ وتنظيرا لقواعده، وحصرها لصوره ؛ ذاك أن الإدغام في الذكر الحكيم وكلام العرب ظاهرة واضحة جلية من ظواهر لغتنا الشريفة ، ولم يكن للبلاغيين حظ وافر في تناول الإدغام مع أنه يشكل صورة من صور طرفي الجملة أو أحد طرفيها إذا وقع في الفعل ، أو الاسم ؛ لذا سنعرض كلام السلف والخلف في هذه الظاهرة ؛ نبداء من حيث انتهوا إليه ، ونبني تطبيقا على ما أسسوه تنظيرا ، وننتفع بما ذكروا في تضاعيف تراثنا التطبيقي .

الإدغام لغة :

هو الإدخال ، يقال : أدغمت الفرس اللجام ، أي: أدخلته في فيه ، وفي الحديث أنه — ﷺ — " ضَحَى بكِش أدغم " وهو الذي يكون فيه أدنى سواد وخصوصا في أرنبته وتحت حنكه ، والأدغم : الأسود الأنف، والإدغام : إدخال حرف في حرف ، يقال : أدغمت الحرف، وأدغمته على افتعلته " (١)

(١) ينظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ، ولسان العرب لابن منظور ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، ومختار الصحاح للرازي مادة (دغم)

الإدغام اصطلاحاً :

هذا المصطلح يقال بطريقتين (الإدغام — الإذغام) الأولى عبارة الكوفيين ، والثانية عبارة البصريين ، وبها عبر سيبويه، وقد عرفه السلف بقولهم : هو الإتيان بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد، بلا فصل بينهما بحيث يرتفع اللسان ، وينحط بهما دفعة واحدة (١) ولم يقتصر في الإدغام على الحرفين المتماثلين ، بل تجوز ذلك إلى الحرفين المتقاربين ، فأدغموا ؛ إيثارة للتجانس الصوتي ، والإدغام يدخل كل الحروف عدا الحروف اللينة ، ويدخل الكلمة والكلمتين .

نوعا الإدغام :

١ — الإدغام الصغير : وهو ما كان أول الحرفين فيه ساكناً ، وإذا كان أول الحرفين ساكناً في الأصل ، فلا يطرأ على النطق شيء يذكر ، غير إخراج الحرفين بنبرة واحدة للسان ، وإزالة الوقفة التي تكون في الحرف الأول ، لو لم يدغم في التالي .

(١) ينظر الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي ٤٠٣ ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، ط، مكتبة لبنان ١٩٩٦ م ، الكليات لأبي البقاء الكفوي ٦٦، ٦٥ تحقيق د/ عدنان المصري ومحمد المصري ، ط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣ هـ ، شذا العرف في الصرف للشيخ الحملاوي ١٥٣ ط، المكتبة العلمية بيروت ١٩٥٧ ، منتخب ما قبل في شرح ابن عقيل للشيخ يوسف البقاعي ٦١٥/٤ ، ط ، مؤسسة الصادق، طهران ١٤١٤ هـ ، تصريف الأسماء ١٠٩ ، د/ مزيد نعيم ، ود/ شوقي المعري ، ط : التعاونية ، دمشق دون تاريخ .

٢ — الإدغام الكبير : هو ما كان فيه أول المثليين منه متحركاً ، فتعتمد إلى إسكانه في النطق ، وإلى جعله في صورة الحرف الواحد في الاسم ، نحو : شدّ ، مدّ .

حالات الإدغام :

للإدغام ثلاث حالات واجب ، وجائز ، وممتنع على النحو التالي :

١ — وجوب الإدغام : يجب إدغام الحرفين المتماثلين ، إذا جاء في كلمة واحدة ، أو ما يشبه الكلمة الواحدة ، على أن يكونا في المواضع التي يمتنع فيها الإدغام ، أو لا يجب .

٢ — جواز الإدغام : وله صور يأتي عليها :

أ — إذا تحرك أول المثليين ، وسُكّن الثاني تسكيناً عارضاً للجزم ، أو شبهه ، وذلك يكون في : (فعل الأمر — المضارع المضعف المجزوم بالسكون) ، وذلك مثل : مدوا — لم يرد ، يجوز أن يقال : امددوا — لم يرتدد .

ب — إذا وقع في أول الفعل تاءان ، وحتى لا يبدأ بساكن نأتي بهمزة وصل نحو : تنزكى — اتركى .

ج — إذا كانت عين الكلمة ، ولامها ياءين ، وتحريك الثلاثي لازماً ، نحو : حيي : حيي ، ويجب الإدغام إذا تحركت الثانية حركة غير لازمة كحركة الإعراب : لن يُحيي .

د — إذا سكنت اللام تسكيناً عارضاً للبناء : حييت .

هـ — إذا كان المثلاثان متحركين في كلمتين مستقلتين ، جاز الإدغام بتسكين الأول ، و جاز عدمه : جعلَ لَكَ — جعلَ لَكَ .

٣ — امتناع الإغام : وله صور يأتي عليها على النحو التالي :

أ — إذا كان المثلاثان في صدر الاسم ، نحو : دَدَنْ .

ب — إذا كان المثلاثان في اسم على وزن فُعْلٌ ، مثل : دُرَّرَ ، أو فَعْلٌ ، مثل : طَلَّلَ .

ج — إذا كان في اسم أدغم فيه بأول المثليين حرف آخر نحو : هَلَّلَ .

د — إذا كان المثلاثان في فعل ماض اتصل به ضمير متحرك ، نحو : مددت، مددنا .

هـ — إذا كان المثلاثان في فعل التعجب (وزن : أفعل به) نحو : أحجب به.

و — إذا كان المثلاثان في فعل على وزن : افتعل ، نحو : افتتح ، اقتتل^(١)

(١) ينظر ينظر الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي ٤٠٣ وما بعدها ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، ط، مكتبة لبنان ١٩٩٦ م ، توضيح المقاصد والمسالك إلى ألفية ابن مالك للمراذي ٣ / ١٦٣٨ وما بعدها تحقيق د/ عبد الرحمن علي سليمان ، ط دار الفكر العربي ، مصر ١٤٢٢هـ، و أوضح المسالك لابن هشاك ٤ / ٤٠٨ : ٤١٢ ، ط المكتبة العصرية بيروت دون تاريخ ، شرح ابن عقيل لبهاء الدين بن عقيل ٤ / ٦١٥ ، ط ، مؤسسة الصادق، طهران ١٤١٤هـ ، شذا العرف في الصرف للشيخ الحماوي ١٥٣ : ١٥٦ وتصريف الأسماء ١٠٩ ، د/ مزيد نعيم ، ود/ شوقي المعري .

الجهود السابقة في ظاهرة الإدغام

أولا : علماء اللغة والأصوات :

تناول علماء اللغة والأصوات قديما وحديثا ظاهرة الإدغام، وذكروا أنها مظهر من مظاهر تيسير النطق؛ بغرض الميل إلى التخفيف، وقد عد أحد الباحثين الإدغام من أشهر الظواهر السياقية في الفصحى وذلك في قوله: " فإذا كانت اللغة العربية تكره توالي الأضداد ، وتكره كذلك توالي الأمثال ، فما الذي يرتضيه ذوقها إذا؟ . . . وقد وضع سيبويه لإدغام المثليين عدلا وأصولا ترجع في النهاية إلى ما أطلقنا عليه ظاهرة (كراهية التقاء الأضداد والأمثال) التي تسيطر على الذوق العربي في الصوغ السياقي والأصل الذي يرجع إليه سيبويه في ذلك ما عبر عنه بقوله: (كلما تواتت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن)"^(١)

وقد ذكر علماء الأصوات أن القصد من الإدغام : تحقيق الحد الأدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها ، فالإدغام يمكن أن يفهم على أنه إزالة الحدود بين الصوتين المدغمين، وصهرهما معا ، أو على أنه إحلال صوت ساكن طويل محل

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٨٠ د/ غام حسان ، ط، عالم الكتب ١٤١٨ هـ

الصوتين الساكنين القصيرين " (١) والعربية تتجه لتيسير النطق إلى المماثلة أو المخالفة الصوتية ، فالمماثلة " تسعى إلى التقريب بين الصوتين المتجاورين في حين أن المخالفة ترمي إلى تخفيف الجهد العضلي عن طريق قلب أحد الصوتين المتماثلين المتجاورين إما إلى صائت طويل ، أو إلى ما يشبهه من الأصوات كاللام والنون، وفي هذا أقصى مراحل تيسير النطق" (٢)

وقد عد علماء الأصوات ظاهرة الإدغام (المماثلة التامة) ضمن تطور أصوات العربية ، وقد اتخذ هذا التطور أشكالاً متعددة ، وأدت إليه عوامل كثيرة ، وقد ذكر العلماء ملخصاً لأهم القوانين أو الاتجاهات التي يرى العلماء أنها تتحكم في أي تطور صوتي منها :

- ١ — قانون جرامونت (٣)
- ٢ — قانون الجهد الأقل .
- ٣ — قانون التردد النسبي .
- ٤ — عامل السرعة .
- ٥ — عامل التوازن .
- ٦ — العامل الخارجي .

(١) ينظر علم الأصوات ٢٣٥، ٢٣٦ د/ إبراهيم أنيس ط ، الأنجلو ١٩٩٥ ، علم الأصوات ١٣٤ برتيل ما لمبرج ترجمة د/ عبد الصبور شاهين ط مكتبة الشباب ، مصر ، دون تاريخ ، دراسة الصوت اللغوي ٣٨٧ د/ أحمد مختار عمر ، ط، عالم الكتب ١٤١١هـ

(٢) علم الصرف الصوتي ٤٣٦ د/ عبد القادر عبد الجليل ، ط ، دار أزمّة ، الأردن ١٩٩٨م.

(٣) جرامونت : عالم فرنسي ، سمي القانون باسمه ، وملخص هذا القانون : أنه حينما يؤثر صوت في آخر ، فإن الأضعف بموقعه في المقطع ، أو بامتداده النطقي هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر .

٧ — البيئة الجغرافية

٨ — الحالة النفسية .

٩ — مجاورة الأصوات (١)

وقد انتهى أحد الباحثين إلى أن الحرف المدغم صوتان ، لاصوت ساكن طويل كما ذهب إليه بعض علماء الأصوات ، وقد أيد ماذهب إليه بجملة حقائق صوتية وصرفية ومعجمية منها أن الكلمة في الوزن العروضي واحدة حالي الفك والإدغام ، وكذلك في ترتيب حركاتها وسكناتها (٢) وقد أيد رأيه بما ذكره علماء القراءات القرآنية، من ذلك ما قاله مكّي بن أبي طالب القيسي " اعلم أن المشدد المفرد في القرآن والكلام كثير ، وكل حرف مشدد مقام حرفين في الوزن واللفظ والحرف الأول منهما ساكن ، والثاني متحرك ، فيجب على القارئ أن يتبين المشدد حيث وقع ، ويعطيه حقه ، ويميز ما ليس بمشدد ، لأنه إن فرط في تشديده حذف حرفاً من تلاوته " (٣)

ومما يذكر هنا أن هذا الباحث طرح سؤالاً مهماً ، وهو : إذا كنا قد قررنا أن الإدغام يشمل حرفين مثليين ، لا حرفاً واحداً ، فكيف يتأتى لنا القول — مع ذلك — بأن الإدغام وسيلة للتخلص من ثقل التضعيف؟

(١) ينظر علم اللغة ٢٨٩ وما بعدها د/ علي عبد الواحد وافي ط ، دار فسطاة مصر ١٩٩٧م، الأصوات اللغوية ٢٣٢:٢٥٢ ، دراسة الصوت اللغوي ٣٧١،٣٧٢

(٢) ينظر في حقيقة الإدغام ٥٥ وما بعدها د/ جعفر عباينة مستلة من أبحاث اليرموك ، الأردن العدد الثاني ١٩٨٥ .

(٣) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ٢١٩ ، مكّي بن أبي طالب القيسي تحقيق د/ أحمد حسن فرحات ، ط ، دار الكتب العربية ، دمشق، ١٩٧٣م.

وللجواب عن ذلك قال : " لاشك أن في عبارة التخلص من ثقل
التضعيف ، وما شابهها من العبارات التي استعملناها في ثنايا البحث
إشارة واضحة إلى الجوانب النطقية الفسيولوجية الخالصة ، غير المرتبطة
بالسلوكات الصرفية،أو بالتحليلات الفونولوجية (الوظيفة اللغوية) . . .
فالذي يجري هنا حقا هو إزالة الحواجز بين المثليين حتى يكونا متجاورين
متصلين ، لا يفصل بينهما فاصل ، وما الفرق بين الإدغام والإظهار في
نهاية المطاف سوى انعدام الحركة بين المثليين ووجودها ، وانعدام الحركة
بين المثليين يعني عدم انتقال اللسان من موضعه إلى موضع نطق آخر ، إذ
يبقى بعد نطق المثل الأول في موضعه لا يبرحه ، حتى ينطق بالمثل الثاني ،
وعدم انتقال اللسان عن موضعه في اللحظة التي تفصل بين نطق المثليين
فيه راحة للسان ، واقتصار للمجهود العضلي المبذول في النطق " (١)
وخلاصة القول أن علماء الأصوات عدوا الإدغام من ظواهر تطور
أصوات العربية ، وأن العلة الكائنة وراءه هي الفرار من الثقل إلى
التخفيف ؛ جريا على طريقة العربية في الميل إلى التخفيف بعدة وسائل
منها الإدغام ، وأن الحرف المدغم هو حرفان ، لا حرف واحد ،
وكلامهم يعني أن الاتجاه إلى الفك مع إمكان الإدغام اتجاه للثقل ، لأنهم
ذكروا أن الإدغام ميل إلى التخفيف .

(١) في حقيقة الإدغام ٥٨، ٥٩ د/ جعفر عابنة .

ثانيا : النحاة وظاهرة الإدغام :

دار كلام النحاة حول تعريف الإدغام ،وبيان صوره وأنواعه على النحو الذي ذكرناه في صدر التمهيد ،ولم يخرج حديثهم في بيان علة الإدغام — فيما ذكروه — عن الميل إلى التخفيف والفرار من الثقل، ويمكن مراجعة ذلك في مظانة المثبتة بالحاشية (١) وقد أشار المرادي إشارة لطيفة قد تربط الظاهرة بالدرس البلاغي ،وذلك في تضاعيف حديثه عن جواز الفك والإدغام حيث علق قائلا : " يعني بالتخيير استواء الوجهين في الجواز ، فالمتكلم مخير في اتباع أيهما شاء ،وليس المراد استواءهما في الفصاحة ؛لأن الفك لغة أهل الحجاز ،وبها جاء القرآن غالبا كقوله تعالى : ﴿ إن

(١) ينظر الكتاب لسيويه ٢/ ٣٠٤، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٤، ٤٠٩، ٤٢٩ ط ، المطبعة الأميرية الكبرى ١٣١٧هـ ، الخصائص لابن جني ٢/ ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣١ تحقيق محمد علي النجار ، ط دار الهدى للطباعة ، بيروت ، دون تاريخ ، الفصل في صفة الإعراب للزمخشري، وشرح المفصل لابن يعيش معه ١٠/ ١٢١ وما بعدها ط عالم الكتب والمكتبي ، مصر، دون تاريخ شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢/ ٤٠٧: ٤١٥ ، ٤٢٠ ط ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٢٠هـ ، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ١٩٠ تحقيق الشيخ محمد علي الضباع ط دار الفكر دون تاريخ ، المقتضب للمبرد ١/ ١٩٧، ٢٠٦، ٢٤٦ تحقيق الشيخ عزيمة ط ، عالم الكتب دون تاريخ ، شرح شافية ابن الحاجب للشريف الرضي ٣/ ٢٣٨، ٢٣٥ ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان ١/ ٣٣٧: ٣٤٨ تحقيق د/ محمد رجب عثمان نشر الخانجي ١٤١٨هـ ، الأصول في النحو لابن السراج ٣/ ٤٠٥ وما بعدها تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٢٠ هـ ، الممتع في التصريف لابن عصفور ٣: ٤٢٣ ، أسرار العربية لابن الأنباري ٤١٨: ٤٢٩ تحقيق محمد بجة البيطار ، ط مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٧٧هـ ، همع الهوامع في شرح الجوامع للسيوطي ٣/ ٤٤٢: ٤٥٠ تحقيق أحمد شمس الدين ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ .

تمسكم حسنة تسوهم» (آل عمران / ١٢٠) وجاء على لغة قميم
قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكوفيين «من يرتد» (المائدة / ٥٤)
وقراءة السبعة «ومن يشاق الله» (١) وقد ذكر البغدادي في الخزانة أن
الحجازية أفصح ، وانقياد غير الأفصح لموافقة الأفصح أكثر وقوعا من
العكس ، كما ذكر أن معظم القرآن حجازي (٢) ومع أن هذا القول
يربط الظاهرة بالدرس البلاغي ، إلا أن القول بتقديم قراءة على قراءة في
الفصاحة قول فيه إشكال ، وفي القول به كثير من الخطر ، وذاك أن
القرآن اصطفى من اللهجات أفصحها .

(١) توضيح المقاصد والمسالك للمرادي ١٦٤٨/٣ .

(٢) ينظر خزانة الأدب للبغدادي ، ١٤٣/٤ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ، الخانجي ، مصر

١٤١٨ هـ .

ثالثا : حديث البلاغيين في فصاحة المفرد عن الجانب الصوتي وعلاقته بظاهرة الإدغام :

اشترط البلاغيون في فصاحة المفرد أن تخلو الكلمة من تنافر الحروف ،وقد كثر حديثهم حول هذه المسألة من حيث مستويات التنافر وأسبابه ،وقد عرفوا تنافر الحروف بأنه وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان ،والتعسر في النطق بها ، وقد يسميه بعضهم المعازلة، ومقابل التنافر عند بعضهم التلاؤم ، واقتران الحروف عند آخرين، والالتئام عند غيرهم ، وكلها مفاهيم تتفق في معناها على أن تتجاوز أصوات الكلمة بحيث يسهل نطقها دون عناء أو مشقة ، والإدغام على ذلك يتجه بالكلمة نحو هذا الاتجاه ،وأكثر البلاغيين حديثا عن هذه الظاهرة ابن سنان الخفاجي ، وقد ذكر البلاغيون أن التنافر منه ما يكون متناهيا في الثقل ،ومثلوا لذلك باسم نبات (الهنخع) وقد تمحل له بعض الخدثين تخريجات مجملها أن هذا النبات مر المذاق ، وأن الكلمة بأصواتها تحكي حالة التقيؤ الناتجة عن ذوق هذا النبات ، وقد أحسن شيخنا د/ أبو موسى رد مثل هذه التأويلات بما لا مزيد عليه ، فقد ذكر أن أسماء النبات مما هو مشتهر عند العرب ، وأن هذه الكلمة معاية ولا أصل لها، وقد جاء قوله نتيجة نظر في كتب اللغة المبسطة ، ومن التنافر ما يكون دون ذلك ثقلا ، وقد مثلوا لذلك بكلمة (مستشزرات) في بيت لامرئ القيس من معلقته المشهورة ، وقد ذكروا أسبابا لتنافر الحروف على النحو التالي :

١- شدة تقارب المخارج فيما تجاور منها ،وقد مثلوا لحركة اللسان في ذلك بمشي المقيد ، والحق أن الاحتكام في ذلك إلى الذوق العربي السليم، فقد وردت في الكتاب العزيز ألفاظ تقاربت مخارج حروفها تقاربا شديدا، وهي من أفصح ما يكون من ذلك كلمة أعهد في قوله : — تعالى — ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (يس/٦٠) فلا سبيل إلى تعميم هذا السبب ، لما يترتب على ذلك من إخراج قسم من الفصح من ميدان الفصاحة .

٢ — كثرة الحروف : وقد مثلوا لذلك بكلمات كثيرة وردت في أشعار العرب منها (مغناطيسهن — باستماعكه — حوباواها — سويداواها) والحق أن ما مثلوا به ليس كلمات مفردة ، وإنما منها ما هو كلمتان وما هو ثلاث كلمات بالمفهوم النحوي لأنواع الكلمة ، مع أن البلاغيين يوردون ذلك في شروط فصاحة المفرد ، والحق أن الاحتكام إلى الذوق السليم هو الأعلى والميزان في مثل هذا ، وإلا ففي الذكر الحكيم كلمات طوال حسب ما مثل البلاغيون فيما اختل فيه شرط الفصاحة ، ولم يذهب أحد من أهل العلم — فيما أعرف — إلى أنه ليس من الفصح، من ذلك كلمة (فسيفيكمهم) وكلمة (أنلزمكموها) في قوله : — تعالى — ﴿ فسيفيكمهم الله وهو السميع العليم ﴾ (البقرة / ١٣٧) وقوله تعالى : ﴿ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴾ (هود / ٢٨) وهاتان الكلمتان تجريان على الألسنة دون عناء أو مشقة ، ولا يعقل أن يجعل ربنا

فيما يتعبد بتلاوته ما يكد اللسان ، ويؤذي الأسماع مع وجود متسع عنه في لسان العرب .

٣ — تنافر يحسه السمع وتكرهه الأذن ، والأذن عند البلاغيين قاض في النغم نافذ القضاء ؛ ولذلك ترى بعضهم يضيف إلى الأصول التي ذكرناها في فصاحة الكلمة أن تكون خالية من كراهة السمع ، أي : أن تحظى موسيقاها عند الأذن بالقبول ، ومن هنا ردوا كلمة الجرشي (١)

(١) ينظر البيان والتبيين للجاحظ ٦٩/١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ، الخانجي ١٣٨١هـ ، سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ٨٧،٤٨،٤٢ ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، ط صبيح ١٩٦٩ م النكت في إعجاز القرآن للرماني ٨٧ تحقيق د/ محمد زغلول سلام ، ود/ محمد خلف الله ط دار المعارف ١٩٥٥ م ، إعجاز القرآن للباقلاني ٢٨٦ تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، ط صبيح ١٩٥١ م ، نهاية الإيجاز ١٢٤: ١٢٦ للفخر الرازي ، تحقيق د/ بكري شيخ أمين ، ط ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٥ م ، العمدة لابن رشيقي ٢٦١/١، ٢٦٤، ٢٦٥ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ، دار الجليل بيروت ١٤٠١هـ ، مفتاح العلم للسكاكي ٤١٦ تحقيق نعيم زرزور ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الإيضاح للخطيب القزويني ومعه بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ١٠/١ ط ، مكتبة الآداب مصر ١٤٢٠هـ ، المطول لسعد الدين التفازاني ١٧ ، ط المكتبة الأزهرية للتراث دون تاريخ ، شرح التلخيص للسابري ١٣٣، ١٣٤ تحقيق د/ محمد مصطفى رمضان ، ط المنشأة العامة ، ليبيا ١٣٩٢هـ ، خزنة الأدب للبغدادي ١٠/١٣٢، ١٣١ ، تلخيص المفتاح للخطيب وعروس الأفراح للسبكي ومواهب الفتاح للمغربي ، ومختصر السعد للتفازاني ٨٢/١ وما بعدها ضمن شروح التلخيص ، ط السعادة ، مصر ١٣٤٢هـ ، معجم البلاغة العربية ٦٦٩ ، د/ بدوي طيانة ، ط ، دار المنارة ، السعودية ١٤٠٨هـ ، خصائص التراكيب ٦٢، ٦٣ ط وهبة ١٤١٦هـ ، من بلاغة النظم العربي ٤٠: ٣٨ د/ عبد العزيز عرفة ، ط ، عالم الكتب ، مصر ١٤٠٥هـ ، علم الفصاحة العربية ٨١: ٨٥ د/ محمد علي رزق الخفاجي ، ط ، دار المعارف ١٩٨٢ م .

هذا وقد صرح بعض البلاغيين بالحديث عن الإدغام حينما قال : " اعلم أن العرب الذين هم الأصل في هذه اللغة قد عدلوا عن تكرير الحروف المتماثلة في كثير من كلامهم إلى الإدغام ، وما ذاك إلا لأجل ثقله على ألسنتهم ، وهكذا فعلوا في المتقاربين أيضا ، فقالوا : مدّ ، وشدّ والأصل فيه : مدد وشدد إلى غير ذلك من الأحرف المتماثلة ، ومن أجل شدة كراهيتهم لتلك أبدلوا من أحد حرفي التضعيف حرف لين ؛ حذرا من ذلك ، وهذا كما قالوا : تسرّيت في تسرّرت " (١) وهو لم يخرج عما ذكره النحاة واللغويون وعلماء الأصوات ، والمهم أن البلاغيين عنوا بالنظر إلى انسجام الحروف في الكلمة المفردة ، والإدغام مما يؤدي إلى الانسجام الصوتي واختصار الجهد العضلي .

(١) ينظر البيان للطبي ٥١٢ ، تحقيق د/ عطية مطر الهلالي ، ط ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٧ هـ - الطراز للعلوي والمذكور نصه ، وذكرناه لأنه أجمع ما ذكر ٤٢٢ ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥ م ، والمثل السائر لابن الأثير ٤٤٠/١ تحقيق د/ بدوي طبانة وأحمد الحوفي ، ط دار النهضة مصر ، دون تاريخ .

وقفة مع القدامى والحديثين في ظاهرة الإدغام :

أسلفت لك القول عند السلف والخلف في أن ظاهرة الإدغام تشكل تطورا في أصوات العربية ، وأن الإدغام من وسائل التخفيف، والتخفيف من المقاصد التي تطمح إليها النفس ، ولئن كان الأمر كذلك، فما القول فيما وقع في الذكر الحكيم مفكوكا ، وكان السبيل إلى إدغامه يسيرا؟ ذاك مما لم أجد له جوابا في تراث السلف والخلف النظري ، وقد رجعت إلى كثير من المراجع قديما وحديثا كما هو مبين في الحواشي، والذي أفترضه جوابا عاما لسؤالي أن الإدغام لقصد التخفيف مطلب سياق، ومقتضى مقام ، وأن الفك أيضا مطلب سياق ومقتضى مقام، ولكل صورة من صور الفعل في الحالين لطائف وإضاءات ينبرها السياق، ويجليها المقام ، ويبقى على الدرس البلاغي شرح المقام والسياق الذي اقتضى الفك والإدغام ، ويظهر ذلك جليا في وجوه جواز الفك والإدغام .

الفك والإدغام محل البحث :

لن يقف هذا البحث عند كل صور الإدغام في الذكر الحكيم ، لكنه يختار حالات الجواز ، و يصطفي من أنواع الكلمة الفعل ، ومنه ما اتفق نوعه حالي الفك والإدغام (ماضيا أو مضارعا أو أمرا) وإنما قصرت البحث على ما جاء من حالات الجواز في القرآن الكريم ، لأنه كلما كان مجال الاختيار أفسح كان الثراء البلاغي الكامن وراءه ألطف وأوقع ، كما أن هذا البحث سيتناول من هذا الموضوع في الذكر الحكيم ما ورد برواية حفص عن عاصم حسب ، كما أن هذا البحث لن يقف عند البحث الصوتي في هذه الظاهرة لأنه ليس بابه ولا اختصاصه ، وإن كان البحث لا ينكر ما للأصوات من قيمة جيدة في التشكيل الدلالي ، ولأحد الباحثين محاولة جيدة وظفت الصوت اللغوي في فقه الدلالة على مستوى النحو والصرف والبلاغة (١) وربما يفتح هذا البحث بابا لأبحاث على هذا النهج .

مواضع الدراسة :

تطابقا مع عنوان البحث حصرنا مواضع الدراسة ؛ قصرا على ما جاء مفكوكا ، وجاء مقابله مدغما من الأفعال في الذكر الحكيم ، وقد وقع المدغم على نوعين إغام متمثلين في الأصل ، وإدغام وقع التماثل فيه بعد الإبدال ، وقد وقع في الذكر الحكيم خمسة عشر فعلا تنوعت صورها بين

(١) ينظر : من وظائف الصوت اللغوي ، د/ أحمد كشك ، نشر المؤلف ، مصر ١٤١٨ هـ .

الفك والإدغام ، في أربعة وعشرين ومائتي موضع ،وقد وزع المدغم على سبعة وستين ومائة موضع من الذكر الحكيم ، وجاء المفكوك مقابلها موزعا على سبعة وخمسين موضعا من الذكر الحكيم ، وفيما يلي حصر بالأفعال الواردة ومواقع ورودها في الذكر الحكيم :

أولا : مواضع إدغام المتماثلين وفكهما

١- (يشاقق) (٢) النحل ٢٧ ، الحشر ٤ .

(يشاقق) (٢) النساء ١١٥ ، الأنفال ١٢ .

٢- (يغل) (١) آل عمران ١٦١

(يغل) آل عمران ١٦١ .

٣- (يرتد) (٥) البقرة ٢١٧ المائدة ٢١ ، ٥٤ ، إبراهيم ٤٣ ، النمل ٤٠ .

(يرتد) (١) البقرة ٢١٧ .

٤- (أتم) (٣) البقرة ١٨٧ ، ١٩٦ ، التوبة ٤ .

(أتم) (١) التحريم ٨ .

٥- (يحل) (٤) هود ٣٩ ، طه ٨١ ، ٨٦ ، الزمر ٤٠

(يحل) (١) طه ٨١ .

٦- (يمن) (٥) إبراهيم ١١ ، الشعراء ٢٢ القصص ٥ الحجرات ١٧

(تمن) (١) المدثر ٦ .

٧- (يَمْدُ) (١٠) البقرة ١٥، آل عمران ١٢٤، الأعراف ٢٠٢ الحجر ٨٨، الإسراء ٢٠، مريم ٧٩، طه ١٣١، المؤمنون ٥٥، النمل ٣٦، لقمان ٢٧

(يَمْدُ) (٢) آل عمران ١٢٥، نوح ١٢.

٨- (نَقْصُ) (١١) الأنعام ٥٧، ١٣٠ الأعراف ٧، ٣٥، ١٠١، هود ١٠٠، ١٢٠ يوسف ٣، الكهف ١٣، طه ٩٩، النمل ٧٦، القصص ٢٥

(نَقْصُ) (٣) النساء ١٦٤ يوسف ٥، غافر ٧٨.

٩- (يَمْسُ) (١٩) البقرة ٨٠، ٢٣٦، ٢٣٧، آل عمران ٢٤، المائدة ٧٣، الأنعام ٤٩، الأعراف ٧٣، هود ٤٨، ٦٤، ١١٣، الحجر ٤٨، مريم ٤٥، الشعراء ١٥٦، الأحزاب ٤٩، فاطر ٣٥، يس ١٨، الزمر ٦١، الواقعة ٧٩.

(يَمْسُ) (٩) آل عمران ٤٧، ١٢٠، ١٤٠، ١٧٤ الأنعام

١٧، يونس ١٠٧، مريم ٢٠، النور ٣٥.

١٠- (يُضَلُّ) (٣٥) البقرة ٢٦، آل عمران ٦٩، النساء ٦٠، ١١٣ الأنعام ١١٦، ١٢٥، ١١٩، ١٤٤، الأعراف ١٥٥، التوبة ٣٧، ١١٥، يونس ٨٨، الرعد ٢٧، إبراهيم ٤، ٢٧، ٣٠، النحل ٢٥، ٣٧، ٩٣، الحج ٤، الفرقان ٤٢، لقمان ٦، فاطر ٨، ص ٢٦، الزمر ٨، غافر ٣٤، ٧٤، محمد ٤، نوح ٢٧، المدثر ٣١

(يَضِلُّ) (١٣) النساء ٨٨ ، ١٤٣ الأنعام ٣٩ ، الأعراف ١٧٨ ،
١٨٦ ، الرعد ٣٣ ، الإسراء ٩٧ ، الكهف ١٧ ، الزمر ٣٦ ، ٢٣ ، غافر
٣٣ ، الشورى ٤٤ ، ٤٦ .

١١ — (يَجِبُّ) (٥٣) البقرة ٢١٦ ، ١٦٥ آل عمران
٣١ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ٧٦ ، ٩٢ ، ١١٩ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٩
١٨٨ ، النساء ٣٦ ، ١٠٧ ، ١٤٨ المائدة
٥٤ ، ٦٤ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ١٣ ، ٤٢ الأنعام ١٤١ ، الأعراف ٣١ ، ٥٥ ، ٧٩
الأنفال ٥٨ ، التوبة ٤ ، ٧ ، ١٠٨ الحج ٣٨ ، النور ١٩ ، ٢٢ ، النمل ٢٣
، القصص ٧٦ ، ٧٧ ، الروم ٤٥ لقمان ١٨ ، الشورى ٤٠ ، الحجرات
٩ ، ١٢ الحديد ٢٣ ، الحشر ٩ ، الممتحنة ٨ ، الصف ٤ ، ١٣ ، القيامة
٢٠ الإنسان ٢٧ ، الفجر ٢٠ .

(يَجِبُّ) (١) آل عمران ٣١ .

ثانيا : مواضع إدغام المتماثلين بعد الإبدال وفكهما .

١٢ — (يَزْكِي) (٢) عيس ٣ ، ٧

(يَتَزَكَّى) (٢) فاطر ١٨ ، الليل ١٨

١٣ — (يَضْرَعُونَ) (١) الأعراف ٩٤

(يَتَضَرَّعُونَ) (٢) الأنعام ٤٢ المؤمنون ٧٦

١٤ — (يَدَّبُرُوا) (٢) المؤمنون ٦٨ ، ص ٢٩

(يَتَدَبَّرُونَ) (٢) النساء ٨٢ ، محمد ٢٤ .

١٥ - (يَذْكُر) (١٤) البقرة ٢٦٩ ، آل عمران ٧ ، الأنعام ١٥٢، ١٢٦ الأعراف ٢٦، ١٣٠ الأنفال ٥٧ ، التوبة ١٢٦ ، إبراهيم ٥٢ ، النحل ١٣ الإسراء ٤١ ، الفرقان ٥٠، ٦٢ ، عبس ٤
(يَتَذَكَّر) (١٦) البقرة ٢٢١ ، الرعد ١٩ ، إبراهيم ٢٥، ٤٤ ، القصص ٤٣، ٤٦، ٥١ ، فاطر ٣٧ ، ص ٢٩ ، الزمر ٢٧، ٩ ، غافر ١٣ ، ٥٨ الدخان ٥٨ ، النازعات ٣٥ ، الفجر ٢٣ .
هذا وقد وردت أفعال واجبة الإدغام ، وأخرى واجبة الفك ، وأخرى جاءت إما مدغمة حسب مع جواز فكها ، وإما مفكوكة حسب مع جواز إدغامها ، وإما مدغمة ، ولم يقع لها مقابل من نوع الفعل نفسه وإما مفكوكة ، ولم يقع لها مقابل من نوع الفعل نفسه ، ولن تقف هذه الدراسة عند مثل هذا ، وإنما حسبها أن تفي بحق ما حددته واصططفتها ، من النظر في سياق الحال والمقال ، وبيان مطابقة الإدغام والفك للمقام والسياق والله المستعان .

الفصل الأول

أسرار تنوع الأفعال بإدغام المتماثلين وفكهما

(يشاق — يشاقق)

ورد هذا الفعل بصيغة المضارع مدغما في موضعين ، وورد

مقابله مفكوكا في موضعين :

أولا : مواضع الإدغام :

١ — قال : — تعالى — ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ﴾ (النحل / ٢٧)

٢ — قال : — تعالى — ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ﴾ (الحشر / ٤)

ثانيا : مواضع الفك :

١ — قال : — تعالى — ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ (النساء / ١١٥)

٢ — قال : — تعالى — ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ﴾ (الأنفال / ١٢)

ورد موضعان منهما في النازل بمكة ، وموضعان في النازل بالمدينة،
والسور على ترتيب النزول (النحل / ٧٠ — الأنفال/ ٨٨ — النساء /
٩٢ — الحشر / ١٠١) وقد تفرد موضع النحل بأن المشاقة في الشركاء،
وبقية المواضع المشاقة فيها لله ورسوله ، وفي هذا ملائمة للحال، فقد
لاءم ما نزل بمكة حال أهل مكة ، ومن شأبههم على مر الزمان ، وشابه
ما نزل بالمدينة حال أهل المدينة ، ذاك أن شمس الإسلام كانت بازغة ،
وكان أعداء الإسلام قد كثروا ، ولذلك أحوال مشابهة على مر التاريخ
، وقد ذكر العلماء أن المشاقة هي المعادة ، والمخالفة المقصودة مشتقة
من الشاق ؛ لأن المخالف كأنه يختار شقا يكون فيه غير شق الآخر " (١)

سياق (يشاق) وأسرار الإدغام

النحل / ٢٧ : هذا الموضع أول المواضع نزولا ، وتراكيب السورة
تتظاهر على بيان مقصودها ، الذي هو " الدلالة على أنه — تعالى — تام
القدرة ، والعلم فاعل بالاختيار مآثره عن شوائب النقص " (٢) ويمكننا
فقه سر الإدغام بإبصار مقصد السورة وسياقها ، وتركيب الآية الكريمة
، وسياق الحال الذي تذكر فيه ، والمقصد على النحو الذي ذكرناه ،
وتتميز السورة بسرد جملة من النعم والآلاء الدالة على قدرة الله —
سبحانه — وجاء في صدرها قوله : — تعالى — (خلق الإنسان من

(١) ينظر الكشف للزمخشري ١١٨/٢ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٧/٦ ، التحرير
والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٠٠/٤ .
(٢) نظم الدرر للبقاعي ٢٤٣/٤ .

نطفة فإذا هو خصيم مبين (النحل / ٤) وجاء قوله (تشاقون فيهم) غطا من هذه المخاصمة ، وإظهار تمام القدرة ، والعلم يلائمه أن تحف وطأة المخاصمة ؛ لذا وصفه ربنا بأنه خصيم مبين في الآية رقم (٤) وبعد سرد النعم كشف عن أثر سردها بالتعبير بالوجه الأخف من المخاصمة (تشاقون) فعبر بالفعل مدغما ؛ لأنه هو الملائم ، وشئ آخر يقفنا عليه فقه الحال ، فالآية الكريمة محل الفعل تذكر موقفا من مواقف يوم القيامة ، ألا ترى افتتاحها بقوله : — تعالى — (ثم يوم القيامة يحزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم) وذلك بعد أخذهم بالعذاب في الدنيا ، ففي مجئ الفعل مدغما إشارة إلى غروب شمس المشاقة وتواريتها ، لأن الفعل هو خير كان ، فلو أظهر بدل الإدغام لما لاءم سياق المقال ، والحال ، ثم إنه مناسب للتنديم يوم القيامة ، أي : لو تفكرتم وتدبرتم لما أظهرتم مشاقة ، ولا عداوة ولسترتموها ، فإظهار تمام القدرة الذي هو مقصود السورة يلائمه التعبير بأدنى الوجوه في المشاقة ، وسياق الآية في يوم القيامة يلائمه التعبير بأدنى الوجوه في المشاقة ؛ تندبما لهم على ما فعلوا ؛ وتنبيها لهم إلى أنه كان الأولى عدم اللجوء إلى المشاقة ، ولو إلى الوجه الأدنى منها ، وقد قرئ بكسر النون ؛ تنبيها على أن مشاقة المؤمنين ، كأنها مشاقة لله ، كما ذكر العلماء (١)

(١) ينظر الكشف ٣٢٧/٢ ، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٢٨٧/٢ ، التحرير والتنوير ١٣٦/١٤ .

الحشر / ٤ : سورة الحشر مدنية ، وقد جاء الفعل المدغم في سياق الحديث عن اليهود ، ويدلنا الذكر الحكيم على أن طرائق اليهود في المكر قائمة على المساترة ، لا على الجاهرة ، فلا يستطيعون مجاهرة ، ولا مبارزة ، ألا ترى أن سورة الحشر اختصت بمثل قوله : — تعالى — (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر . . .) (الحشر/١٤) فكان الفعل المدغم أنسب في التعبير عن مشاققتهم من الفعل المظهر ، وقد ذكر البقاعي لطيفة الإدغام ، فقال : " وترك الإدغام على حاله ؛ لأنهم ما أظهروا معادة ، وإنما كان ما فعلوا مكرًا ، ومساترة ، وذلك أخف من الجاهرة ، وأظهر في الأنفال لقوة أمر الجاهرين ، كما مضى ، ولم يعد ذكر الرسول تفخيما له بإفهام أن مشاققته مشاققة لله من غير مثنوية أصلا ، وإشارة إلى أنهم بالغوا في إخفاء مشاققتهم ، فلم يظهر عليها غير الله ، فلم يحصل منهم في ذلك مفاعلة بينهم ، وبين الرسول — ﷺ — فإنه لم يكر بهم ، وإنما جاهرهم حين أعلمه الله بمكرهم ، بخلاف ما تقدم في الأنفال ، فإن المقام اقتضى هناك الذكر ، لأنهم مكروا به ، كما قال : — تعالى — (وإذ يكر بك الذين كفروا . . .) (الأنفال / ٣٠) الآية وهو — ﷺ — أخفى أمر هجرته ، وأعمل الحيلة في الخلاص من مكرهم على حسب ما أمره الله به ، فحصلت المفاعلة في تحيز كل من الفريقين إلى شق غير شق الآخر خفية " (١) وهذا يعني أن الإظهار كما جاء في الأنفال ؛ ملائما سياق الحال والمقال ، جاء الإدغام هنا

(١) نظم الدرر ٥١٥/٧ .

ملائما سياق الحال والمقال ، فقد كان اليهود أجبن من إظهار المشاقة ، كما دل عليه حالهم ، وكما عبر به عنهم في سياق المقال في السورة الكريمة ، ولا يعكر على ذلك أنه قرئ بالفك (١) لأنه يلائم حال إظهار المشاقة في بعض أحوالهم ، والتعبير بالإدغام يلائم الأعم الأغلب من أحوالهم ، كما تدل عليه سيرتهم ، فالقراءتان متعانقان في الكشف عن الحال ، وليستا متعاندتين .

سياق (يشاقق) وأسرار الفك

النساء / ١١٦ : يدلنا سبب نزول الآيتين (١١٥، ١١٦) على سر الفك ؛ لأنه جاء ملائما له ، وسبب النزول جزء من المقام ، يقاس عليه كل مقام يشبهه ، فقد قال العلماء : " هاتان الآيتان نزلتا بسبب ابن أريق السارق ، لما حكم النبي ﷺ — عليه بالقطع ، وهرب إلى مكة وارتد ، قال سعيد بن جبير : لما صار إلى مكة نقب بيتا بمكة ، فلحقه المشركون ، فقتلوه ، فأنزل الله — تعالى — (إن الله لا يغفر أن يشرك به) إلى قوله : (فقد ضل ضلالا بعيدا) وقال الضحاك : قدم نفر من قريش المدينة ، وأسلموا ، ثم انقلبوا إلى مكة مرتدين ، فزلت هذه الآية (ومن يشاقق الرسول . .) والآية وإن نزلت في سارق الدرع ، أو غيره ، فهي عامة في كل من خالف طريق المسلمين " (٢)

(١) ينظر إرشاد العقل السليم للعلامة أبي السعود ٣٠٠/٥ ، روح المعاني للآلوسي ٢٣٧/١٤ ، التحرير والتنوير ٧٥/٢٨ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/٦ .

وكما لاءم الإظهار سياق الحال ، لاءم سياق المقال ، فقد وردت الآيات في سياق محاربة الكافرين ، ومشاققة أعداء الله (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك . . .) (النساء / ١٠٢) وما بعدها فهو حديث عن الصلاة في المعركة ، كما سبقت الآية بمثل قوله : (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا) (النساء / ١٠٧، ١٠٨) وكل هذه الآيات من خصائص السورة الكريمة ، وقد جاءت الآية محل الشاهد في رحم هذا السياق الذي دل على إظهار المشاققة والمعاداة والخصومة ، فلاءم الإظهار سياقي الحال والمقال .

وقد أبصر البقاعي سياقي الحال والمقال ، وملائمة الإظهار لهما قائلا : " (ومن يشاقق الرسول) عبر بالمضارع رحمة منه — سبحانه — بتقييد الوعيد بالاستمرار ، وأظهر القاف؛ إشارة على تعليقه بأجاهرة ؛ ولأن السياق لأهل الأوثان ، وهم مجاهرون ، وقد جاهر سارق الدرعين الذي كان سببا لزول الآية " (١)

كما أن سورة النساء جمعت حقوق النساء بما لم تجمعها سورة سواها، كما اختصت بالحديث عن الفرائض ، وهما أمران يحتدم حولهما

(١) نظم الدرر ٢ / ٣١٨ .

الجدال، والخصومة، ويجري في زماننا رفض كثير مما ورد في السورة بشأهما ، وهو إظهار للمشاققة يلائمه إيراد الفعل مظهرها ، لا مدغما .

الأنفال / ١٢ : سورة الأنفال اختصت بالحديث عن غزوة

بدر، التي كانت معركة المشاققة بين المؤمنين والكافرين ، وقد أظهر فيها المشركون العداوة على أقوى وجوها ، وقد ورد الفعل مظهرها ملائمة لهذا الحال ، كما أنه جاء كذلك ؛ ملائمة لسياق المقال أيضا ، فقد جاء الفعل في سياق جملة تعليلية لما سبقها من وحي الله لملائكته بأن يضربوا فوق أعناق الكافرين ، وأن يضربوا منهم كل بنان .

قال البقاعي : — رحمه الله — مبصرا ذلك " وأظهر الإدغام في

المضارع ؛ لأن القصة للعرب ، وأمرهم في عداوتهم كان بعد الهجرة شديدا، ومجاهرة، وأدغم في الماضي ؛ لأن ما مضى قبلها كان ما بين مساترة بالماكرة ومجاهرة بالمقامرة ، وعبر بالمضارع ندبا إلى التوبة بتقييد الوعيد بالاستمرار ، وأدغم في الحشر في الموضعين ؛ لأن القصة لليهود، وأمرهم كان ضعيفا ومساترة في مأكرة " (١) فالإظهار والإدغام في المواضع الأربعة جاء مقتضى مقام، ومطلب سياق .

(١) نظم الدرر ١٩٤/٣ .

يَغْلٌ — يَغْلِل

وقع الفعلان في موضع واحد من الذكر الحكيم ، وقد ورد ذلك في سورة آل عمران ، واختصت به دون سواها :
قال : — تعالى — ﴿وما كان لنبي أن يَغْلٍ ومن يَغْلِل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ (آل عمران/١٦١)

أسرار الفك والإدغام

الآية من سورة آل عمران ، وهي سورة مدنية ، فهي التاسعة والثمانون نزولا ، ولم يذكر أحد من أهل العلم لطائف للفك والإدغام في هذا الموضع ، وإنما اتجه اهتمامهم لتفسير معنى الغلول وأوجهه ، وتوجيه القراءة الأخرى في (يَغْلٍ) الأولى، الجمهور قرأ (يُغْلٍ) بضم التحتية، وفتح العين وقرأه ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح التحتية، وضم الغين .

وقد أوردوا أسباب نزول تؤيد القراءتين ومما ذكره من تأييد القراءة الأولى أنها نزلت في رجل غل بمخيط لما وقعت غنائم هوازن ، أو أنها نزلت في رجل كان على ثقل النبي — ﷺ — يقال له كركرة ، فمات ، فقال النبي — ﷺ — هو في النار، فذهبوا ينظرون، فوجدوا عليه كساء وعباءة قد غلها، وذكروا غير ذلك ، ومما ذكره من تأييد القراءة الثانية أنها نزلت في قطيفة حمراء ، فقدت يوم بدر ، فقال بعض الجهال :

لعل النبي ﷺ — أخذها فزلت هذه الآية ، أو أن الآية نزلت في أداء الوحي " (١)

وكل ما ذكره العلماء لا يخرج عن ملائمة الحديث عن الغلول لحال النزول على كلتا القراءتين ، لكنهم لم يشاروا إلى سر الفك والإدغام ، والذي أبصره أن الفك والإدغام هنا له موقع جليل ؛ ذاك أنه ورد في سورة آل عمران ، ومقصودها الذي تتظاهر عليه تراكيبها ، هو إثبات الوحدانية لله — سبحانه وتعالى — كما ذكر البقاعي " (٢)

والتوحيد الخالص يلائمه مراقبة الله في السر والعلن ؛ لذا تبصر أن الآية وقعت بعد قوله : — تعالى — (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (آل عمران / ١٦٠) والتوكل يتنافى مع الغلول .

كما أن الآية محل الشاهد في سياق الحديث عن غزوة أحد والغزوات مظنة الغلول لوجود الغنائم فيها ، والمعصية يشدد في النهي عنها إذا وجدت أسبابها ، لكن ما سر ورود الفعل مفكوكا ، ومدغما في هذا السياق ، الذي أبصره جوابا لهذا السؤال أن التعبير بالفك والإدغام في سياق واحد ، وموضع واحد فيه تشديد للترهيب من خطر الغلول ؛

(١) ينظر : الكشف ١/ ٢٢٦، ٢٢٧ ، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٣/ ٤١١، ٤١٢ ، الجامع لأحكام القرطبي ٤/ ١٦٥ ، انحرر الوجيز ، لابن عطية ١/ ٥٣٥ ، نظم الدرر ٢/ ١٧٥، ١٧٦ ، تفسير الجلالين والصاوي عليه ١/ ١٧٦، ١٧٧ ، روح المعاني ٢/ ٣٢٢ ، التحرير والتنوير ٤/ ١٥٤، ١٥٥ .

(٢) نظم الدرر ٣/ ٢ .

لذا جاء النهي بأبلغ وجه ، فالتعبير بالإدغام دليل على اتجاه النهي إلى أدنى وجوه الغلول ، وإن أمعن الغال في الإسرار به .

والتعبير بالفك اتجاه بالنهي إلى أعلى وجوه الغلول حال إظهاره ، فكأنني بالذكر الحكيم ، يؤكد أن الغلول غير جائز بحال، ويؤيده أن الصيغة الأولى منفية بأسلوب الجحود ، وهو أكد من النفي، وأبلغ من النهي ، كما أن إسناد نفي الغلول إلى النبي فيه مبالغة ؛ تنبيها بالأعلى على الأدنى ، فإذا ما كان أدنى وجوه الغلول غير جائز لمن لهم العصمة ، فهو أشد امتناعا لغيرهم ، ويؤيده أيضا تنكير (نبي) أي : أن ذلك في كل شريعة ، لا في شريعتكم حسب ، وهذا يعني أنه ممنوع في كل زمان ، وفي ذلك إظهار لبشاعته .

كما أن الفعل الثاني (يغلل) سيق بأسلوب شرط ، وفي جوابه ترهيب ما بعده ترهيب لما فيه من الفضح ؛ لذا عبر بالفك ؛ إيذانا بالفضح والتشهير يوم القيامة ، وفي ذلك من الإلهاب عن الإقلاع عنه ما فيه ، فقد جاء الفك والإدغام ملائما سياق الحال والمقال ، فالغلول منهي عنه في السر والقليل ، ويلائمه الإدغام، والعلن والكثير ويلائمه الإظهار .

يرتد — يرتد

ورد هذا الفعل بصيغة المضارع مدغما في خمسة مواضع ، وورد مقابله مفكوكا في موضع واحد :

أولا : مواضع الإدغام :

١— قال : — تعالى — ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا . . . ﴾ (البقرة / ٢١٧)

٢— قال : — تعالى — ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾ (المائدة / ٢١)

٣ — قال : — تعالى — ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ (المائدة / ٥٤)

٤ — قال : — تعالى — ﴿مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ (إبراهيم / ٤٣)

٥ — قال : — تعالى — ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي

ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴿ (النمل / ٤٠)

ثانيا : مواضع الفك :

١ — قال : — تعالى — ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (البقرة / ٢١٧)

ورد الفعل في سياقات مختلفة حالا ومقالا ، والسور التي وردت فيها هذه المواضع على ترتيب التزول (النمل / ٤٨ — إبراهيم / ٧٢ — البقرة / ٨٧ — المائدة / ١١٢) والسورتان الأوليان في النازل بمكة ، والثانيتان في النازل بالمدينة ، ولم يشير أحد إلى سر الفك والإدغام — فيمن طالعت تراثهم — غير البقاعي في موضع واحد من سورة البقرة ، وربما يذكر بعض المفسرين القراءات الواردة فقط ، فيقول في موضع الفك في البقرة : أجمع القراء على الفك ، وفي المائدة قرئ بالفك والإدغام (١)

(١) ينظر : حاشية الصاوي ١/٩٣، ٢٧٢ .

سياق (يرتد) وأسرار الإدغام

البقرة / ٢١٧ : وردت صيغة الإدغام في سورة البقرة ، وقد وقعت بعد حتى ، وقد كشف التعبير بالإدغام عن ثبات المؤمنين على دينهم ، ورسوخ الاعتقاد عندهم ، الذي جعل الكافرين يجتهدون غاية الاجتهاد في رد المؤمنين عند دينهم ، ولو على الوجه الأخف الأدنى ، والتعبير بالإدغام هنا كما كشف عن قوة إيمان المؤمنين كشف عن غاية ما يتمناه الكافرون ، كما أن الإدغام يناسب سياق المقال ، تأمل هذه التراكيب (قل قتال فيه كبير) (وصد عن سبيل الله) (وكفر به) (والمسجد الحرام) (وإخراج أهله منه أكبر عند الله) ثم تركيب الجملة التي ورد فيها الفعل مدغما (ولا يزالون يقاتلونكم) وما فيه من الدأب والاجتهاد ، والتكالب والتصارع الذي له غاية يرمي إليها ، ومقصد يهدف إليه (حتى يردوكم عن دينكم) وهذه بشارة أنهم لن يستطيعوا ، هذا ، والقيد الذي جاء بعده (إن استطاعوا) مما يحتم التعبير بالإدغام ، ولو عبر بالفك لعلق الاستطاعة على الأشد ، وإذا ما أبصرنا أن سورة البقرة تنظاهر تراكيبها على بيان مقصودها الذي هو صفات المتقين ، التي أعلاها الإيمان بالغيب (١) مع ضمنية أن نزول السورة كان حال بزوغ شمس الإسلام ، وظهور قوته ، إذا ما أبصرنا هذا كله تبين لنا ما عليه المؤمنون من حال القوة ، الذي لم تتجاوز أمنية الكافرين معه سوى ردهم عن دينهم ، ولو على أخف وجه وأدناه ، فلاءم الإدغام سياقي الحال والمقال .

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٤/١ .

المائدة / ٢١ : أورد الفعل المدغم الأول في سياق قصة موسى —

الطاهر — حين أمر قومه أن يدخلوا بيت المقدس ، ونهاهم عن الارتداد ، والملائم لسياق المقال التعبير بالفعل مدغما (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم ..) فقد افتتحت الآية بأسلوب النداء الدال على إشعارهم بالقرب منه ، وحنوه عليهم ، ومناداهم بصلة القربى (يا قوم) لذا لم يقل : يا من اتبعتموني ، أو يا بني إسرائيل ، ووصف الأرض بأنها مقدسة ، وأغراهم بعدم التراجع وشحذ عزيمتهم بقوله (التي كتب الله لكم) إيذانا بأن ما كتبه الله سيحقق لا محالة ، ومع هذا السياق المفعم بالحب والدافع إلى الخير ، والإحساس الطاعني بما فيه خير لقومه ، لا يناسب النهي عن الأشد الأثقل من الارتداد ، وإنما يلائمه التعبير بالأخف ، أي : لاتصنعوا ذلك ، ولا على أدنى وجه من الارتداد ، لذا جاء التحذير الرهيب بعدها (فتقلبوا خاسرين) فالإدغام هو الألفق بسياق المقال ، وبسياق الحال أيضا ، فقد كانوا بلا أرض ، وبلا مأوى ، ثم أمروا بالذهاب إلى أطهر البقاع ، ومن كان حاله كذلك ، لا ينبغي أن يرتد ، ولو على أخف وجه .

المائدة / ٥٤ : جاء الفعل المدغم في تركيب يقارب تركيب سورة

البقرة الذي أجمع على قراءته هناك بالفك ، وقد قرئ هنا بالفك والإدغام ، وهما قراءتان سبعيتان ، وقد ذكر البقاعي وجه الإدغام ، فقال : "ولو على وجه خفي بما أشار إليه الإدغام في قراءة من سوى المدنيين وابن

عامر (١) كما ذكر عند آية سورة البقرة وجه الإدغام هنا ، فقال :
وأشارت قراءة الإدغام في المائدة إلى أن الصبر أرفع درجة من الإجابة
باللسان ، وإن كان القلب مطمئنا " (٢) وهذا استنباط جيد يلائم سياق
السورة ، ومقصودها الذي هو : الوفاء بالعقود ، وقد جاء التحذير من
الردة في سياق الحديث عن اليهود ، وسورة المائدة أوسع سور القرآن
حديثا عن اليهود بعد سورة البقرة ، وله هنا خصائصه الأسلوبية التي
لا توجد في سورة البقرة ، وتأمل التركيب يدلنا على سر إدغام الفعل ، فقد
أتبع التحذير من الردة بأسلوب وعيد وتهديد لا نظير له في الذكر الحكيم
(فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين) كما أن الآية
جاءت في سياق النهي عن تولي المؤمنين أهل الكتاب (يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . . .) (المائدة / ٥١) وجاء بعدها (
إنا وليكم الله ورسوله . . .) (المائدة / ٥٥) وجاء بعد ذلك (يا
أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم والكفار أولياء . . .) (المائدة / ٥٧) وكأني بالسياق
مليح بأن اتخذ اليهود والنصارى والكفار أولياء من الردة في صورتها الدنيا
، فلاءم ذلك الإدغام ، وشئ آخر أن القرآن الكريم بقراءة الإدغام حذر
من الوجه الأخف والأدنى من الردة مبالغة ؛ وتنبيهها بالأدنى على الأعلى
، وبقراءة الفلك ، استيفاء للنهي من كل جانب ؛ تنبيهها بالأعلى على الأدنى

(١) نظم الدرر ٤٨٢/٢ .

(٢) نظم الدرر ٤٠٦/١ .

،وبذلك يمكن الجمع بين القراءتين ، أي :أنه لايجوز الارتداد بأي صورة ،ولابأي حال .

إبراهيم / ٤٣ : ورد الفعل مدغما في هذا الموضع ؛تلاؤما مع السياق فقد جاء في سياق حديث عن أهوال القيامة ،وما يكون فيها ،وقد سبقَت الآية بقوله : — تعالى — (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخروهم ليوم تشخص فيه الأبصار) (إبراهيم / ٤٣) وذلك أنه موقف رهيب تظل العين من رهبته مفتوحة بحيث لا تطرف ، فلا النفات لأية جهة ، وهو أشد الذل والمهانة — أعاذنا الله من ذلك — وهذا الوصف الدقيق لهاته الحالة من الفزع ، لا نظيره في الذكر الحكيم ، يلائمه التعبير بالإدغام الذي هو الوجه الأخف من ارتداد البصر ، فيكون نفيه للأدنى نفيا للأعلى ، وهو أبلغ وألصق بسياق الحال ،الذي سيكون يوم القيامة،وبسياق المقال الذي أسلفنا الإشارة إليه ، كما أن ما بعد الفعل المدغم يؤيد وروده كذلك أيضا (وأفئدتهم هواء) ولا نظير له في الذكر الحكيم ؛تعبيرا عن الخوف والفزع الذي تنخلع منه القلوب يوم القيامة ، ألا تراه وحّد الطرف (طرفهم) وهو مما يتساوق مع الآية السابقة من وصف شخوص البصر ؛ لذا لم يقرأ بالفك في هذا الموضع .

النمل / ٤٠ : ورد الفعل المدغم في سورة النمل ،وقد جاء ملائما سياقه ،مناسبا مقامه ؛ذاك أنه تعبير عن سرعة الخبيء بعرش بلقيس؛تكريما للنبي — ﷺ — وهي سرعة خاطفة ، كأنه قيل أياكم يأتي بي بعرشها ، فقال : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ،فما أنهى قوله إلا والعرش

أمامه ، فانظر قدرة الله ، وكيف صورها إدغام الفعل سرعة خاطفة ، لا سرعة أبلغ منها ، ولو قال : قبل أن يرتدد لكان أطول ، ولم يكن كبير فرق بين من أوتي علم الكتاب والعفريت ، فالتعبير بالإدغام لاءم سياق الحال الذي عبر عنه القرآن بقوله (فلما رآه مستقرا عنده) وسياق المقال الذي وضع الذي عنده علم من الكتاب في مقارنة مع العفريت في الزمن الذي يستغرقه كل منهما في الإتيان بالعرش ، فسبحان من جلت قدرته وقهر سلطانه .

سياق (يرتدد) وأسرار الفك

البقرة / ٢١٧ : للبقاعي — رحمه الله — إشارة لطيفة إلى سر الفك ، حيث قال : " (ومن يرتدد) وكأن صيغة الافتعال المؤذنة بالتكلف والعلاج ؛ إشارة إلى أن الدين لا يرجع عنه إلا بإكراه النفس لما في مفارقة الألف من الألم ، وإجماع القراء على الفك هنا للإشارة إلى أن الحبوط مشروط بالكفر ظاهرا باللسان ، وباطنا بالقلب ، فهو مليح بالعفو عن نطق اللسان مع طمأنينة القلب " ^(١) وهذا وجه لطيف جيد ، ويؤيده أن حد الردة لا يقام إلا على من جهر بذلك ، وثبت عليه بعد الاستتابة ، ومدتها ثلاثة أيام على الراجح عند الفقهاء ^(٢)

(١) نظم الدرر ٤٠٦/١ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٣٥/٢ .

أتمّ — أتمّ

ورد الفعل بصيغة الأمر مدغما في ثلاثة مواضع من الذكر الحكيم، وورد مقابله مفكوكا في موضع واحد من الذكر الحكيم :

أولا : مواضع الإدغام :

١ — قال : — تعالى — ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة / ١٨٧)

٢ — قال : — تعالى — ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ . .﴾ (البقرة/ ١٩٦)

٣ — قال : — تعالى — ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَوْ أَحَدًا فَأَتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة / ٤)

ثانيا : مواضع الفك :

١ — قال : — تعالى — ﴿يَوْمَ لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نورهَم يَسْعَى نورهَم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَعْمَاهُمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم / ٨)

وردت هذه المواضع كلها في النازل بالمدينة ، والسور على هذا الترتيب (البقرة/ ٨٧ — التحريم / ١٠٧ — التوبة / ١١٣) ولم أجد عند المفسرين ما يشفي الغلة في البيان عن سر الإدغام ، عدا كلمة ذكرها البقاعي عند آية التحريم في التعليق على موضع الفك في آية التحريم " فأظهروا لأن المقام له " (١) دون شرح وبيان لهذا المقام، والملحوظ أن الفعل ورد في كل مواضعه خطابا للمؤمنين من ربههم ، أو خطابا منهم لربههم .

سياق (أتم) وأسرار الإدغام

البقرة / ١٨٧ ، ١٩٦ : سياق الحال يدل على المشقة التي نالت
الصحابة الأخيار في أول ما فرض الصيام من قصر مدة الإفطار ، فقد ورد أن الصيام أول ما شرع كان طول النهار ، ويحل الإفطار بأذان المغرب، ويظل الإفطار حلالا إلى أن ينام الرجل ، فلا يحل له إفطار ، كما أن سياق المقال يدل على تخفيف هذه المشقة ، فالآية محل الفعل مفتوحة بقوله : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم)

وكل التراكيب تتجه نحو تيسير المشقة ؛ بيانا لقوله — تعالى —
قبل السياق بما لا نظيره في الذكر الحكيم (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (البقرة / ١٨٥) وكأن التعبير بالفعل مدغما جاء

(١) نظم الدرر ٥٥/٨ .

ملائما حال اليسر الذي تظاهر عليه سياق المقال ، والذي كشفه سياق الحال، فالتعبير بالإدغام إظهار للامتنان بالتخفيف واليسر ، ولو قال : ثم أتمموا بالفك لكان تشديدا لا يلائم سياق الحال ، ولا سياق المقال ؛ لذا لم يقرأ بالفك هنا ؛ تبشيرا بقبول الصيام ، ولو على الوجه الأخف .

وعلى هذا النسق وقع الفعل مدغما في سياق الحديث عن الحج ، وقد سبقت الآية محل الفعل بما لا نظيره في الذكر الحكيم (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (البقرة/ ١٩٥) وفي ذلك تيسير في أداء هذا الركن من أركان الإسلام .

وسياق الحال شاهد صدق على المشقة التي ينالها المؤمنون في أداء هذه الفريضة ، مع ضميمة سياق المقال ، فقد أحاطت بالفعل المدغم تراكيب كاشفة عن مظاهر اليسر ، منها ما سبقت الإشارة إليه ، ومنها ما وقع بعده بما لا نظيره في الذكر الحكيم (فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي) ومنها (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك)

وقد جاء الفعل مدغما ؛ اتساقا مع سياقي الحال والمقال في إبراز مظاهر اليسر في الشرع الخفيف ، وكأنه بشارة للحجيج بقبول الحج منهم وإن شابه بعض التقصير ؛ لذا جاء فعل الأمر مدغما ؛ تنبيها إلى قبول الأخف من الأعمال ، ولو قال : وأتمموا ، بالفك لأوحى بالمشقة ، وهو مما يخالف سياق الحال والمقال .

التوبة / ٤ : جاء الفعل المدغم في سياق سورة تميزت في الذكر الحكيم بافتتاحها دون بسملة ، وفي افتتاحها بالإيذان بإعلان الحرب (براءة من الله ورسوله . . .) (التوبة / ١) وبزوغ شمس الإسلام آنئذ كانت مليحة بالتبرؤ من المشركين ، وعدم إمهالهم .

كما أن سياق المقال جاء مؤكداً لسياق الحال ، وقد وضع الذكر الحكيم شروطاً لعدم خرق عهد من له عهد منهم مع المؤمنين (إلا الذين عاهدتم من المشركين) الشرط الأول (ثم لم ينقصوكم شيئاً) الشرط الثاني (ولم يظاهروا عليكم أحداً)

ثم جاء فعل الأمر مدغماً بعد هذين الشرطين مليحاً بأن إدغام العهد مدته قصيرة ؛ لأنهم سيخرقون هذين الشرطين أو واحداً منهم ، وفي الإدغام تخفيف على المؤمنين ؛ لذا لم يقل : فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتكم ، وإنما أضاف العهد والمدة إلى المشركين ؛ تخفيفاً في النقل على المؤمنين فجاء الفعل مدغماً تخفيفاً ، وإيذاناً بقصر المدة ، وفيه ما فيه من تبشير المؤمنين ؛ تلاؤماً مع سياقي الحال والمقال .

سياق (أتم) وأسرار الفك

التحريم / ٨ : سياق المقال ، وسياق الحال مختلف عن السياق الذي ورد فيه الفعل مدغما فما سبق كان خطابا من الله للمؤمنين، والذي معنا خطاب من المؤمنين لربهم ، وسياق الحال هو موقف من مواقف يوم القيامة، وقد سبق دعاء المؤمنين بالإخبار بأن (نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) لذا جاء الفعل مفكوكا ؛ تعبيرا عن أمنية المؤمنين بنيل أعظم الجزاء ، وهو الأنسب لكرم الله ؛ لذا قال البقاعي " (أتم) فأظهروا لأن المقام له " (١)

والمقام هنا يوم القيامة ؛ خطابا من أهل الجنة لربهم ، وقد أبصروا جوده وكرمه ، مما أتاح لهم طلب الأعلى ، ويناسب التعبير عنه الفك ، فقد جاء الفك والإدغام في كل المواضع مقتضى مقام ، ومطلب سياق .

(١) نظم الدرر ٥٥/٨ .

يحلّ — يحلل

ورد الفعل مدغما بصيغة المضارع في أربعة مواضع ، وورد مقابله مفكوكا في موضع واحد من الذكر الحكيم :

أولا : مواضع الإدغام :

- ١ — قال : — تعالى — ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم﴾ (هود / ٣٩)
- ٢ — قال : — تعالى — ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي﴾ (طه / ٨١)
- ٣ — قال : — تعالى — ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي﴾ (طه / ٨٦)
- ٤ — قال : — تعالى — ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم﴾ (الزمر / ٤٠)

ثانيا : مواضع الفك :

- ١ — قال : — تعالى — ﴿ومن يحللّ عليه غضبي فقد هوى﴾ (طه / ٨١)

الملحوظ أن هذه المواضع كلها في النازل بمكة ، والسور على هذا الترتيب (طه / ٤٥ — هود / ٥٢ — الزمر / ٥٩) والملحوظ أن المستند إليه حالي الفك والإدغام ، هو غضب الله ، والعذاب المقيم، والحلول والنزول و " أصله من حل الأحمال عند النزول ، ثم جرد استعماله للنزول ، فقليل : حلّ حلولا " (١) ولما كان معناه كذلك ورد في سياقات إظهار الغضب ، ونزول العذاب ، وقد اتفقت سياقات الفعل مفكوكا ومدغما في أنها وردت وعيدا من المرسلين لمخالفيهم ، فما في هود : وعيد من نوح للكافرين من قومه ، وما في سورة طه وعيد من موسى — ~~الطه~~ — لليهود .

سياق (يحلّ) وأسرار الإدغام

هود / ٣٩ ، الزمر / ٤٠ : ورد الفعل في سياق قصة نوح — ~~الطه~~ — وقد ورد بعد الآية التي تصور استمرار قومه على السخرية منه حين كان يصنع الفك ، فسيقت الآية مساق الوعيد والتهديد بما ينبئ أنه لاخلف فيه ، وقد شمل الوعيد الدنيا والآخرة ، وهو ما ألمح إليه البقاعي ، حين أبصر أن قوله : — تعالى — (من يأتيه عذاب يخزيه) مختص بعذاب الدنيا ، وقوله (ويحلّ عليه عذاب مقيم) مختص بعذاب الآخرة

(١) المفردات في غريب القرآن مادة (ح ل ل) ١٢٨ للراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاي ، ط مصطفى الحلبي ١٣٨١هـ .

"(١) ذاك أن العطف يقتضي المغايرة ، وكأني بالإدغام هنا يوحي بأن أخف حلول لنوع من هذا العذاب الذي وصف بأنه مقيم كاف في الارتداع والإقلاع، وهو ألصق بمقصد السورة الذي هو " وصف الكتاب بالإحكام والتفصيل في حالي البشارة والندارة "(٢) وألصق بسياق حال التزول، وما يشبهه من الأحوال على مر الزمان .

وقد جاء نظيره تركيباً في سورة الزمر ، لكن الوعيد هنا حكاية عن نوح — ﷺ — والوعيد في سورة الزمر حكاية عن سيدنا محمد — ﷺ — وهذا ما ذكرته من أن تشابه سياقي الحال (قوم نوح — مشركي مكة) أورد الآية في السياقين ، وقد لاءم الإدغام أيضاً مقصود سورة الزمر الذي تتظاهر على بيانه تراكيبها، وهو " الدلالة على أنه — سبحانه — صادق الوعد، وأنه غالب لكل شئ "(٣) كما أن السورتين متقاربتان نزولاً، كما مضى بيانه ، والخلاصة أن الإدغام ملائم سياقي الحال والمقال في أن القليل من حلول العذاب كاف في الارتداع والإقلاع.

(١) نظم الدرر ٣/٥٣٠ .

(٢) نظم الدرر ٣/٤٩٨ .

(٣) نظم الدرر ٦/٤١٢ .

سياق (يحلّ — ويحلل) وأسرار الفك والإدغام في سورة طه :

طه / ٨٦ : لحظنا اتفاق المسند إليه (عذاب مقيم) في سورتي هود والزمر ، وقد اتفق المسند إليه هنا في المواقع الثلاثة للفعل مفكوكا ومدغما (غضبي — غضب من ربكم) وسورة طه هي أول السور نزولا في هذه المواضع ، وهي فترة كان القابض فيها على دينه كالقابض على الحجر ، واتساع دائرة التعذيب للمؤمنين ، مما يلائمه ترهيب المؤمنين من الإخلال بعهد الإيمان ، المستوجب غضب الله ؛ لذا اختصت سورة طه بهذه الحلقة من قصة اليهود على كثرة ذكرهم في القرآن الكريم ، وقد جاء الفعل مدغما في موضعين من السورة الكريمة ، الموضع الأول في سياق تحذير بني إسرائيل من الطغيان لقاء ما أنعم الله به عليهم من سعة الخير .

قال البقاعي — كاشفا عن المناسبة — " ولما كان الغنى والراحة سبب السماحة ، قال (ولا تطغوا فيه) بالادخار إلى غد في غير يوم الجمعة ، ولا بغير ذلك من البطر وإغفال الشكر بصرفه في غير الطاعة " (١) وقد جاء هذا التحذير بعد سرد منن الله على اليهود : (النجاة من فرعون — إنزال الكتاب — سعة الرزق —) وتعداد النعم يلائمه التخفيف في الإنذار ؛ لذا أدغم ، ولم يفك حتى لا يعكر عليهم فرحة النعم التي غمرتهم ؛ لذا كان المسند إليه (غضبي) ولم يكن أثرا من آثار

(١) نظم الدرر ٥ / ٣٥ .

الغضب ، فلم يقل : فيحل عليكم عذابي ، ومن يحلل عليه عذابي ، كأنه يقول لهم سأغضب عليكم إن فعلتم وإن غضبت فأنتم تعلمون ما بعد الغضب ؛ لذا جاء بعده (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) (طه / ٨٢) فلاءم التخفيف ورود الإنذار بين بشارات .
أما عن سر الفك ، فمع أن السياق هو السياق ، إلا أن الذي أبصره أن موقعه في السياق مؤذن بالفك ، فقد وقع في جملة هي تذييل لما مضى ، والتذييل هو تأكيد لما مضى ، والتأكيد يقتضي الترتيبي والتتبعي ؛ لذا فك ولم يدغم ، — ويؤيده جواب الشرط الكاشف عن أثر الغضب على المغضوب عليه (فقد هوى)

والملاحظ هنا أن الكلام خرج من سياقه الخاص السابق في الفعل المدغم إلى السياق العام في الفعل المفكوك ؛ لذا قالوا : هو تذييل جار مجرى المثل (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) فهو خطاب تعميم ليس خاصا ببني إسرائيل ، وإنما هو صالح لمخاطبة كل من طغى ، والتعميم يلائمه التعبير بما هو أشد .

أما الموضع الثاني من الإدغام ، فقد ورد في سياق الحديث عن غضب موسى — ~~عليه السلام~~ — على قومه لما رجع من ميقات ربه ، فرأى قومه على عبادة العجل ، فأنكر عليهم ذلك ، فجاء الفعل مدغما في هذا السياق ؛ تلاؤما مع سياق الحال ، حيث كان المراد إعادتهم إلى الخطيئة الربانية ؛ لذا عبر بالوجه الأخف في الإنذار ؛ تلاؤما مع سياق الحال والمقال ، وقد ظهر أثر ذلك ، فقد كان جوابهم (ما أخلفنا موعدك

بملكنا ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم . . . (طه / ٨٧) واستمروا
في سرد تبريراتهم ، فهو قريب من سياق الفعل المدغم السابق .

تمنّ — تمنن

ورد الفعل بصيغة المضارع مدغما ست مرات في أربعة مواضع من الذكر الحكيم ، وورد مفكوكا في موضع واحد :
أولا : مواضع الإدغام :

١ — قال : — تعالى — ﴿قَالَ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . . .﴾ (إبراهيم / ١١)
٢ — قال : — تعالى — ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء / ٢٢)

٣ — قال : — تعالى — ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص/٥)
٤ — قال : — تعالى — ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تَمُنُّوا عَلٰى إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات/١٧)

ثانيا : مواضع الفك :

١ — قال : — تعالى — ﴿وَلَا تَمُنَّ بِتَسْتَكْثِرُ﴾ (المدثر/٦)
هذه المواضع من النازل بمكة عدا سورة الحجرات ، والسور على ترتيب النزول (المدثر/٤ — الشعراء / ٤٩ — إبراهيم / ٧٢ — الحجرات / ١٠٦) ولكل موضع سياقه وأسراره ، والملاحظ أن المسند إليه وقع

لف الجلالة ،أو ضميرا يعود عليه في ثلاثة مواضع ،ووقع الرسول — ﷺ — في موضع واحد ،وفرعون في موضع واحد ، وبعض الأعراب في موضعين .

سياق (تمَنَّ) وأسرار الإدغام

إبراهيم / ٧٢ : ورد الفعل مدغما في سورة إبراهيم — الطي — في سياق رد الرسل مقالات أقوامهم وادعاءهم تنافي الرسالة مع البشرية (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) (إبراهيم / ١٠) ولم يجمع الله مقالات السابقين،ومقالات الرسل في الرد عليهم ، كما جمعها في سورة إبراهيم، فهي سورة التوحيد ؛لذا وردت أقوال المرسلين جميعا موحدة ،وورد رد الكافرين موحدا ، وقد بدأ المرسلون الرد بمجaraة الكافرين فيما ذهبوا إليه (إن نحن إلا بشر مثلكم) بأسلوب القصر وبأقوى أدواته ؛تلاؤما مع المخاطبين الذين خاطبوا الرسل مخاطبة من ينكر البشرية ،ثم جاءت الجملة محل الفعل معطوفة على هذا الرد ،ووقع الفعل مدغما إشارة إلى أن منة الرسالة مما يخفى على الناس أمره ، أو بإشارة إلى خفاء هذه المنة على كثير من الناس ،وهذا هو المطابق للحال أيضا ، فإن عد الرسالة منة يمن الله بها على من يشاء من عباده مما خفي على كثير من الكافرين إما تصريحاً ، وإما عنادا لإخفاء هذه المنة ، فجاء الإدغام ملائما لسياق المقال،وسياق الحال .

الشعراء / ٢٢ : ورد الفعل مدغما في سياق رد موسى — الطيط — على فرعون — لعنه الله — وقد جاءت مقالات اللعين متتابعة لتصوير قوة الجاهة التي كان يلقاها موسى — الطيط — (قال ألم نربك فينا وليدا وليث فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) (الشعراء / ١٨، ١٩) وقد جاء الرد على سبيل اللف والنشر غير المرتب ، كما ذكر كثير من أهل العلم ^(١) وتأوله آخرون بما يدخله في اللف والنشر ، وإن لم يصرحوا بذلك ^(٢) (قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) (الشعراء / ٢٠: ٢٢) والملاحظ فيما جاء حكاية عن فرعون أنه أطل الكلام ؛إمعانا في إظهار المنة ، واستمتعا بذلك ؛طمعا في رده عما أرسل به إليه ، وذلك ظاهر في تأمل التراكيب في قوله : (نربك) وما تحتاجه التربية من المال والجهد ، وما تذكر به من حال الضعف (وليدا) وما تذكر به من حال العجز (وليث فينا من عمرك سنين) وما يعكسه من طول فترة المنة ، أي : أنت مدين لنا بعمرك ، فجاء الرد على نهج التعبير ؛تسفيها له ، وقلب ما يعتقده فرعون منة إلى نقمة ، فجاء التعبير

(١) ينظر : نظم الدرر ٣٥٣/٥ ، والشهاب على البيضاء ٩/٧ ، روح المعاني ٦٩، ٦٨/١٠ .

(٢) ينظر : الكشف ١١٠، ١١١/٣ ، أنوار التنزيل ٤٦٧/٣ ، مفاتيح الغيب ٤٩٦، ٤٩٧، إرشاد العقل السليم ٢٠٧/٤ ، التحرير والتنوير ١١٣/١٩ : ١١٥ .

بالفعل مدغما في هذا السياق مليحا بأن ما ذكرته كان ينبغي أن تخفيه ،
فإخفاؤه أبر وأولى ، وقد أطل الرد أيضا (وتلك نعمة تمنها على أن
عبدت بني إسرائيل) تذكيراله بما أعمل في بني جلدته من ذبح
الرجال، واستحياء النساء ، فجاء التعبير بالإدغام ملائما سياق المقال
على النحو الذي أسلفناه ، وسياق الحال ، وهو مجاهدة من أظهر نفاجة
وتكبرا، بإطفاء لهيب تكبره وإخماد نار حجته .

القصص / ٥ : ورد الفعل مدغما مسندا إلى لفظ الجلالة في سياق جملة
إما أن تكون في موضع الحال من ضمير يستضعف باعتبار أن تلك
الإرادة (ونريد . . .) مقارنة لوقت استضعاف فرعون إياهم ، وإما أن
تكون معطوفة على قوله: (إن فرعون علا في الأرض) (القصص / ٤)
لتناسبهما في الواقع في حيز التفسير للنبا^(١) وقد خص بالذكر من المن
أربعة أشياء عطفت على فعل غن عطف الخاص على العام ، وهي جعلهم
أئمة ، وجعلهم الوارثين ، والتمكين لهم في الأرض ، وأن يكون زوال
ملك فرعون على أيديهم^(٢) وهي ممن عظام جاءت مقابل إجرام
فرعون بإعمال الذبح في أبنائهم واستضعافهم وإذلالهم ، وربما يظن أن
الفك أولى بمثل هذا السياق ؛ إظهارا للنعمة ، وتعظيما لها ، ولكن حسن
التدبر ينتهي إلى أن الإدغام أولى ، وذلك أنه مشير إلى أن ما ذكر من
هذه المن لبني إسرائيل ، إنما هو قليل يسير بجانب فضله — سبحانه —

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٩٢/٤ ، التحرير والتنوير ٧٠/٢٠ .

(٢) التحرير والتنوير ٧١/٢٠ .

وذاك الصق بحال المخاطبين من المؤمنين في مكة ، وما كانوا عليه من رد الاستضعاف والإذلال ، وكأنها بشارة إلى أنكم ستعطون الكثير الذي ترون به ما أعطي لبني إسرائيل قليلا ، وهذه المرحلة من حال المخاطبين يلائمها إعلاء البشارة ؛ تنبيها لهم ، وعونا على التحمل .

الحجرات / ١٧ : وقع الفعل مدغما ثلاث مرات في السورة الكريمة أسند مرتين إلى الأعراب ، وأخرى إلى ضمير يعود على لفظ الجلالة ؛ ردا عليهم ، وقد وردت الأفعال الثلاثة في سياق الحديث عن مقالات الأعراب (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم . . .) (الحجرات / ١٤) وهم أهل البادية من بني أسد وغيرهم قدموا المدينة في سنة جدب ، فأظهروا الشهادتين ، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ — أتيناك بالآثقال والعيال ، ولم نقاتلك ، كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ، ويمنون عليه — عليه الصلاة والسلام — ما فعلوا " (١) وقد ورد كل ذلك في سورة مقصودها " الإرشاد إلى مكارم الأخلاق بتوقير النبي ﷺ — بالأدب معه في نفسه وأمته ، وحفظ ذلك من إجلاله بالظاهر ليكون دليلا على الباطن ، فيسمى إيمانا (٢) وسبب التزول يشكل جزءا من المقام الذي وردت فيه هذه الأفعال ، والتعبير بالإدغام هنا أراه مليحا بما يجب عليهم من إخفاء المن بمثل هذا ، وأنه غير مقبول منهم ، حتى لو كان بأدنى وجه

(١) ينظر : نظم الدرر ٢٣٧/٧ ، إرشاد العقل السليم ١٨٠/٥ .

(٢) نظم الدرر ٢٢٠/٧ .

، وفي التعبير بالإدغام ملائمة لحالهم ، حيث لاتعد هذه منة بقريظة الرد ،
والحق أنها منة عليهم ، وليست لهم ، كما صرح به الرد " بل الله يمن
عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) وقد جاء الفعل المسند إلى
ضمير يعود على لفظ الجلالة (بل الله يمن عليكم) مدغما ؛ تنبيها إلى أن
ذلك كان خافيا عليهم لجفائهم وغلظتهم ، والإخفاء يناسبه الإدغام ،
ويؤيده أنه سماه إسلاما في منهم (لا تمنوا على إسلامكم) وسماه إيمانا في
الرد (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) .

سياق (تمنن) وأسرار الفك

المدثر / ٦ : ورد الفعل مفكوكا في سياق سورة المدثر ، وهي من أوائل السور نزولا ، وتظاهر تراكيبيها على بيان مقصودها ، وهو " الجد والاجتهاد في الإنذار بدار البوار لأهل مكة لأهل الاستكبار " (١) وقد افتتحت السورة بالاسم المدغم (المدثر) " وكان الدثار لم يعم بدنه الشريف بما دل عليه التعبير بالإدغام ، دون الإظهار الدال على المبالغة ؛ لأن المراد إنما كان ستر العين ليجمع القلب ، فيكفي في ذلك ستر الرأس وما قاربه من البدن ، والإدغام شديد المناسبة للدثار " (٢) لكنه أعقبه بالأمر بالإظهار ، وأخذ النفس بغاية الجهد والجد .

وفي هذه المرحلة من الدعوة لم يكن منّ ، ولا استكثار ؛ لأن السورة نزلت في بواكير الدعوة ، فيما قبل المرحلة السرية منها ، وإنما النهي هنا إرشاد له — ﷺ — ولكل داع إلى الحق ، وقد أشار البقاعي إلى أن سر الفك التناسب مع ما يؤدي إليه المن من التثقيل على النفس وإيذاء من أحسن إليه ، وهذا مما يحمل المدعو على البعد ، لا القرب .

(١) نظم الدرر ٨/٢٢٠ .

(٢) نظم الدرر ٨/٢٢٠ .

يقول البقاعي : " (ولا تمنن) أي : على أحد بدعائك له ، أو
بشيء تعطيه له على جهة الهبة أو القرض بأن تقطع لذة من أحسنت إليه
بالتثقييل عليه بذكرك على جهة الاستعلاء، والاستكثار بما فعلته معه " (١)
وكان الإظهار مليح بأن المن لا ينبغي أن يظهر أبدا ، فجاء الفك مناسبة
لهذه المرحلة من الدعوة، ومناسبا للسياق المقالي الجاري على تحديد
الطريقة في الدعوة والإنذار.

(١) نظم الدرر ٨ / ٢٢٢ .

يُمد — يمدد

ورد الفعل مدغما بصيغة المضارع مدغما في عشرة مواضع من الذكر الحكيم، وورد مفكوكا في موضعين :

أولا : مواضع الإدغام

١ — قال : — تعالى — ﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ (البقرة/ ١٥)

٢ — قال : — تعالى — ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفـيـكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ (آل عمران / ١٢٤)

٣ — قال : — تعالى — ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدوهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾ (الأعراف / ٢٠١، ٢٠٢)

٤ — قال : — تعالى — ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ (الحجر / ٨٨)

٥ — قال : — تعالى — ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محذورا ﴾ (الإسراء / ٢٠)

٦ — قال : — تعالى — ﴿ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ﴾ (مريم/ ٧٩)

٧ — قال : — تعالى — ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ (طه/ ١٣١)

٨ — قال : — تعالى — ﴿ أَيْحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (المؤمنون / ٥٦،٥٥)
٩ — قال : — تعالى — ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سَلِيمَانُ قَالَ أَتَمَدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ (النمل / ٣٦)
١٠ — قال : — تعالى — ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لقمان/٢٧)

ثانيا : مواضع الفلك :

١ — قال : — تعالى — ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (آل عمران / ١٢٥)
٢ — قال : — تعالى — ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (نوح / ١٠: ١٢)
نزلت تسعة مواضع من هذا الفعل بمكة ، وثلاثة مواضع بالمدينة ،
والسور على ترتيب التزول (الأعراف / ٣٩ — مريم / ٤٤ — طه / ٤٥ —
النمل / ٤٨ — الإسراء / ٥٠ — الحجر / ٥٤ — لقمان / ٥٧ —
نوح / ٧١ — البقرة / ٨٧ — آل عمران / ٨٩)
سياق (يمد) وأسرار الإدغام

البقرة / ١٥ : ورد الفعل مدغما في سياق الحديث عن المنافقين، وقد عرضت السياقات مقالا لهم الدالة على إصرارهم على الطغيان بما لا نظيره في الذكر الحكيم (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) (البقرة / ٩) (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) (البقرة/ ١١) (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء . . .) (البقرة/ ١٣) والذي أبصره أن في التعبير بالفعل (يمد) الدال على الإمهال على طريق الإدغام ؛ إشارة إلى قصر مدة الإمهال ؛ تهديدا لهم ، ويؤيد ما جاء بعد في السياق من تشبيهات كاشفة عن خسراتهم بما لا نظيره في الذكر الحكيم (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا . . .) (البقرة/ ١٧: ٢٠)

آل عمران / ١٢٤ : ورد الفعل مدغما في سياق الحديث عن غزوة بدر (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) (آل عمران / ١٢٣) والذي أبصره أن الفعل وقع مدغما على طريق الترقى ، المتناغم معه سياق الحديث عن الغزوة الذي جاء على طريق الترقى من الأدنى إلى الأعلى ، فقد وقع الإمداد بثلاثة آلاف منزلين من الملائكة ، وفي التعبير بالفعل مدغما ؛ إشارة إلى أن هذه هي الدرجة الأولى من الإمداد ستليها درجات ؛ لذا جاء الفعل في الآية التي تلي الآية محل الشاهد مفكوكا ، يقول البقاعي : " (يمدكم) إمدادا خفيا بما أشار إليه

الإدغام" (١) وهذا بالنظر إلى الحال الذي وقع قيذا للملائكة (مترلين) الذي وقع مقابل ما يدل على الظهور والوضوح في الآية التي تليها من الحال الذي وقع قيذا للملائكة (مسومين) فناسب الإخفاء الإدغام ، وناسب الفك الإظهار ، فالإدغام والفك جاءا متناسبين مع سياق الحال والمقال .

الأعراف / ٢٠٢ : ورد الفعل على فُحج الإدغام في سياق الحديث عن إغواء الشيطان ، والإدغام إخفاء يناسب الطرائق الخفية التي يتبعها الشيطان في الإغواء ، فإنه أكثر ما يأتي الإنسان في صورة الناصح الشفيق؛اجتهادا في إخفاء مسالكه ؛ استدراجا للجاهلين ، وهذه نكتة راجعة إلى معنى الإدغام ، وما فيه من إخفاء حرف في آخر ، ومن حيث معنى الفعل فإن الإدغام مليح بضعف إغوائهم لو تدبروا وتذكروا، ويؤيده أن الحديث عن الجاهلين جاء متقابلا مع الحديث عن المتقين (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) (الأعراف/ ٢٠١) ولم ترد هذه الآية في غير هذا الموضع من الذكر الحكيم ، فقد وصفهم بأنهم يتنبهون بأدنى مس من الشيطان، وهو مما يوحي بضعف إغوائه ، وقصر أمدده ، والمناسب للتعبير عنه الفعل المدغم، ولو عبر به مفكوكا لما لاءم سياق المقال ، ولاسياق حال صنيع الشيطان مع الجاهلين .

(١) نظم الدرر ١٤٩/٢ .

الحجر / ٨٨ : ورد الفعل مدغما في سياق فهمه — ﷺ — عن

مد عينيه إلى زينة الدنيا ، والمراد به الأمة ، وقد جاء الإدغام مناسبا لهذا السياق للنهي بطريق الأبلغ ، فالنهي عن الأدنى تأكيد للنهي عن الأعلى ، ولو عبر بالفك لما لاءم السياق ؛ لأن النهي عن الأعلى قد يكون إثباتا للأدنى ، وليس ذلك مرادا ، ولهذا السياق ذكر العلماء أن النهي عن الرغبة ، أي: " لا ترغب فيما متعنا به أصنافا من الكفار ، فإنه مستحق" (١) مع أنه لم تكن منه — ﷺ — رغبة فيها حتى ينهى عنها ، وإنما المراد بذلك الأمة إلا أن ما جاء عليه الذكر الحكيم هو الأبلغ ، لأنه مشير إلى أنه إذا ما فهمنا من هو منا في غاية القرب عن ذلك ، مع أنه لم يصدر منه ذلك ، فإن فهمي من هو دونه أولى وأعلى ، ولا يعكس على ذلك ذكر العينين ، لأنهما ترجمان الهم النفسي ، والرغبة الكامنة .

الإسراء / ٢٠ : ورد الفعل مدغما في سياق الحديث عن عطاء

الله ؛ والفعل مسند إلى ضمير العظمة (نحن) والإدغام هنا مليح بأن ما ترونه عظيما من العطاء هو عندنا قليل ، ومن فضلنا نذر ، ويؤيده أنه قال بعده (وما كان عطاء ربك محظورا) وفيه بشارة إلى أن عطاء المؤمنين سيكون أعلى من عطاء الله للسابقين ، والسورة مكية ، وحال المؤمنين آنئذ يلائمه هذا الخطاب تسرية وتسليية بالبشارة ، وكان الأذى قد اشتد بهم ، وهو مليح بأن من كان حاله كحال السلف الأول في الإيمان والتعرض بسببه لألوان الأذى وصنوفه ، فليجعل الصبر سبيلا

(١) ينظر : الصاوي على الجلالين ٢/ ٢٨١ .

لننصر ، ومسلكا للعطاء ، وأن الله أعطى معذبه من فضله ، وهو على إعظام العطاء لمن آمن به وتحمل العذاب من أجله أقدر .

مریم / ٧٩ : ورد الفعل في سياق الحديث عن تهديد العصي بن وائل ، ومن على شاكلته ، وقد نزلت فيه الآية حين قال للخباب ابن الأرت البدری ، حين طالبه بأجرة حللي صاغه له ، فأبي أن يقضيه إلا أن يكفر بمحمد ، فقال خباب : لن أكفر به حتى تموت ، ثم تبعث ، قال : وإني لمبعوث من بعد الموت فسوف أعطيك إذا رجعت إلى مال وولد^(١) والذي أبصره أن الفعل جاء مدغما ؛ إشارة إلى إحكام العذاب عليه وإحاطته به حتى يصير غيبا فيه ، وهو المناسب مع سياق الوعيد والتهديد .

طه / ١٣١ : ورد الفعل المدغم في تركيب متقارب مع تركيب آية الحجر ، إلا أن الفعل وقع هنا في آية بين آيتين ، أمرت الأولى النبي — ﷺ — بالصبر ، والثانية أمرت أهله بالصبر (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك ..) (طه / ١٣٠) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا . . .) (طه / ١٣٢) والذي أبصره أن في التعبير بالفعل المدغم ؛ إشارة إلى إخفاء الرغبة في منع الحياة الدنيا ، وعدم إظهارها " وهذا الخطاب لرسول الله ، والمراد غيره ؛ لأن ذلك مستحيل

(١) الجلالين والصاوي عليه ٤٣/٣ .

عليه ، لما ورد أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا ، فاختار أن يكون نبيا عبدا " (١)

المؤمنون / ٥٥ : جاء الفعل المدغم في سياق الحديث عن تهديد الكافرين (فذرهم في غمرتهم حتى حين) (المؤمنون / ٥٤) والذي أبصره أن في ورود الفعل مدغما في هذا السياق إشارة إلى قلة ما استعظموه من المال والولد عند الله ، مع أنه هو الذي دعاهم إلى الاستكبار والكفر ، وفي إيراد الفعل المدغم مشيرا إلى قلة ما أوتوا بشارة للمؤمنين الذين جاؤوا في مقابلهم في الآيات (٥٧ : ٦١) أن عطاءهم سيكون عظيما ؛ لأنه إذا ما كان عطاء الله الكافرين كذلك سيكون عطاء الله لا حدود له للمؤمنين ، والسورة مكية يلائمها هذا النمط من ورود الفعل مدغما .

النمل / ٣٦ : ورد الفعل مدغما في سياق قصة موسى — **عليه السلام** — مع ملكة سبأ ، وقد بني الأسلوب الذي ورد فيه الفعل على استصغار واحتقار الهدية ، حيث افتتح الأسلوب باستفهام إنكار توبيخي (أتمدونن بمال) " وتنكير مال للتحقير " (٢) وقد جاء الأسلوب كذلك ؛ " إعلاما بأنه لا التفات له نحوها بوجه ، ولا يرضيه شئ دون طاعة الله " (٣) ويؤيده أنه قال بعد الإنكار (فما آتاني الله خير مما آتاكم)

(١) الجلالين والصابوي عليه ٦٥/٣ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٢٦١ / ٤ .

(٣) نظم الدرر ٤٢٥/٥ .

والمناسب لمثل هذا السياق التعبير بالفعل مدغما؛ إشارة إلى قلة وحقارة ما أمدوه — ~~الطهارة~~ — به ، ولوعبر بالفك لماناسب الأسلوب المبني على الاستصغار والتحقير، ولما لاءم سياق الحال لأن النبي المرسل لا يستعظم أيا من متاع الدنيا حتى لو أتنه الدنيا كلها بين يديه .

لقمان / ٢٧ : ورد الفعل المدغم في سورة لقمان ، وهي مكية، وقد ورد الفعل في سياق الحديث عن نعم الله وآلائه ، وجاءت الآية متظاهرة بتراكيها على بيان عظمة قدرة الله — عز وعلا — بما لا نظير له في الذكر الحكيم ، فلو كانت بحار الدنيا مدادا ، وأشجارها أقلاما، وأكثر من ذلك ما وفّت بحق نعم الله ، ولعلك تظن أن التعبير بالفك في مثل هذا السياق هو الأعلى ، ولكن حين تتأمل الآية وأسرار تراكيها تبصر أن الإدغام هو الأولى ؛ ذاك أنه مشير إلى خفاء سر الماء الذي يمد البحار (والبحر يمد من بعده سبعة أبحر) وذاك هو المطابق للواقع، فمنابع البحار تعرف ، أما ما يمد هذه المنابع فهو خفي ، كأن القول: لو أن ما تعرفونه من الماء وما يخفى عليكم معرفته منه كان مدادا لما وفي بحق كلماتنا، وهذا هو الأليق بالتعظيم ، ويؤيده التعبير بجمع القلة(كلمات) قال العلماء : " وإينار جمع القلة في الكلمات للإيذان بأن ما ذكر لايفي بالقليل منها ، فكيف بالكثير؟ ! " (١)

(١) ينظر : نظم الدرر ٣٠/٦ ، إرشاد العقل السليم ٣٨١/٤ .

سياق (يمدد) وأسرار الفك

آل عمران / ١٢٥ : أسلفنا أن الفعل المدغم الذي ورد في الآية السابقة على الآية الكريمة جاء على نهج الترقى في سياق الحديث عن غزوة بدر ، وقد جاء الفعل المدغم ؛ إخباراً عما تحقق من البشارة ، وجاء الفعل المفكوك في سياق وعد بالبشارة عقب البشارة المتحققة ، قال البقاعي : " (يمددكم) أي : إمداداً جلياً بما أشار إليه إشارة لفظية : الفك ، وإشارة معنوية : التسويم " (١) والخلاصة أن الفك جاء مناسباً لإظهار البشارة ووضوحها ؛ تناسباً مع سياق الترقى في البشارة، ونوعها؛ لأن الإمداد هنا بملائكة مسومين ، والتسويم يلائمه الظهور والوضوح .

نوح / ١٢ : ورد الفعل المفكوك في سياق قصة نوح — الطهارة — في بيان استغفره الجهود في دعوة قومهم ، والكشف عن استغفار الجهود يلائمه المبالغة ، والإظهار والسياق جار على هذا النسق من المبالغة فقد سبقت الآية محل الفعل بقوله : — تعالى — (يرسل السماء عليكم مدراراً) (نوح / ١١) وفي الفك قال البقاعي : " أظهر لأن الموضع لإرادة المبالغة والبسط والسعة " (٢) وفي ورود الوعد بالخير والمدد على الاستغفار بالفك زيادة ترغيب لهم في الإيمان .

(١) نظم الدرر ١٤٩/٢ .

(٢) نظم الدرر ١٦٩/٨ .

(vz)

نقص — نقصص

ورد الفعل بصيغة المضارع إحدى عشرة مرة ، وورد مقابله مفكوكا ثلاث مرات :

أولا : مواضع الإدغام:

١ — قال : — تعالى — ﴿ إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْصُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (الأنعام / ٥٧)

٢ — قال : — تعالى — ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا . . . ﴾ (الأنعام / ١٣٠)

٣ — قال : — تعالى — ﴿ فَلَنَقْصِنَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ (الأعراف / ٧)

٤ — قال : — تعالى — ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأعراف / ٣٥)

٥ — قال : — تعالى — ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ . . . ﴾ (الأعراف / ١٠١)

٦ — قال : — تعالى — ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ (هود / ١٠٠)

٧ — قال : — تعالى — ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك . . ﴾ (هود/ ١٢٠)

٨ — قال : — تعالى — ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن . . ﴾ (يوسف/ ٣)

٩ — قال : — تعالى — ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ (الكهف/ ١٣)

١٠ — قال : — تعالى — ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾ (طه/ ٩٩)

١١ — قال : — تعالى — ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ (النمل/ ٧٦)

ثانيا : مواضع الفك .

١ — قال : — تعالى — ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك . . ﴾ (النساء / ١٦٤)

٢ — قال : — تعالى — ﴿ قال يا بني لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا . . ﴾ (يوسف/ ٥)

٣ — قال : — تعالى — ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك من قبل ومنهم من لم نقصص عليك . . ﴾ (غافر/ ٧٨)

وقد وردت كل المواضع في النازل بمكة ، عدا ما ورد في سورة النساء ، وهو مما يعكس حاجة حال التزول لقصاص النبيين ؛ لأنها فترة

إنذار وتحذير ، والمواضع على ترتيب التزول (الأعراف / ٣٩ —
طه/ ٤٥ — النمل / ٤٨ — هود / ٥٢ — يوسف / ٥٣ — الأنعام / ٥٥
— غافر / ٦٠ — الكهف / ٦٩ — النساء / ٩٢)

سياق (نقص) وأسرار الإدغام

الأنعام / ٥٧ : ربما نجد في إِبصار متعلق الفعل بابا لفقه أسرار الإدغام ،
فقد تفرد هذا الموضع دون نظائره بالمفعول به (الحق) وكأن الإدغام
مليح بأن الحق لا يحتاج كثير تتبع للاقتناع به ، وإنما حسب طالبيه أدنى
تتبع ، وفي ذلك إشارة إلى وضوح الحق وظهوره ، بما لا يحتاج معه إلى
جهد ، ويؤيده أن المسند إليه ضمير يعود إلى أهيب أسمائه — سبحانه —
وما جاء بعد التركيب (وهو خير الفاصلين) ولا نظير لهذا التركيب في
الذكر الحكيم ، والتعبير بالإدغام على هذا النحو من الإيحاءات ملائم
لحال المخاطبين من أهل مكة ومن على شاكلتهم على مر الزمان .

وقد وقع الفعل في سياق " استئناف ابتدائي انتقل به الكلام من
إبطال الشرك بدليل الوحي الإلهي المؤيد للأدلة السابقة إلى إثبات صدق
الرسول — ﷺ — من دعوته إلى الإسلام " (١) فالسياق لإبطال
الشرك، وإظهار الحق ، وناسبه الإدغام ؛ إشعاراً بقلّة ما يحتاج إليه الحق
من جهد في التقصي للوصول إليه .

(١) التحرير والتنوير ٢٦٤/٧ .

الأنعام / ١٣٠ : ورد الفعل في سياق الحديث عن موقف من مواقف يوم القيامة خطابا للكافرين ، فقد سبقت الآية بقوله : — تعالى — (ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس) (الأنعام/ ١٢٨) والتعبير بالإدغام في مثل هذا المقام مليح بتحسيرهم بأن القليل من الآيات كان كافيا في الإقلاع عن الكفر (ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي . . .)

ومما يؤيد التحسير ، الاستفهام التقريري ، والقييد (منكم) وصفا للرسول ؛ لذا شهدوا على أنفسهم بالكفر ؛ إعلانا للعدل الإلهي في عقاب الظالمين ؛ لذا جاء بعد الآية (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) (الأنعام/١٣٢) فقد جاء الفعل مدغما في هذا السياق ؛ تناسبا مع الحال الذي وصفته الآيات والمقال الذي جرت عليه التراكيب .

الأعراف / ٧ : جاء الفعل مدغما في سياق سورة الأعراف التي تتظاهر تراكيبها على بيان مقصودها وهو الإنذار ، وقد جاء الفعل مؤكدا ومدغما ؛ اتساقا مع ما قبله (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين) (الأعراف / ٦) والتعبير بالإدغام مليح بأن القليل مما نقصه كاف في الإنذار ، لأن الذي يقصه هو العليم الحاضر في كل ما يقصه ، والقليل إذا صدر ممن كانت صفته كذلك (العلم والحضور) كان كافيا في الإنذار ، وحاملا على الارتداع .

كما أن الفعل المدغم جاء في سياق متهدر متسارع في التخويف والإنذار قائم على الإجمال المتبوع بالتفصيل بعد ذلك (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون) (الأعراف / ٤) وجاء قصص النبيين في السورة بعد ذلك شرحا وتفصيلا لهذه الآية ؛ جريا على مقتضيات الإنذار من الإجمال والتفصيل، وقد استمر سياق الآيات على الإجمال من أول السورة إلى قوله : — تعالى — (ولقد خلقناكم ثم صورناكم . . .) (الأعراف / ١١) والمناسب للإجمال هو الإدغام ، لا الفك .

الأعراف / ٣٥ : جاء الفعل مدغما هنا بعد إيراد قصة آدم —

الطبعة — وقبل إيراد قصص النبيين تفصيلا في السورة ، وقد جاء في سياق جملة شرطية تشبه أن تكون تعقيبا على قصة آدم — **الطبعة** — يؤيد ذلك افتتاحها بهذا النداء (يا بني آدم) فلم يقل : يا أيها الناس (إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح . . .) وهو أسلوب شرط دال على ما يكون من إرسال الرسل وقصصهم الآيات، فهو سياق إجمال يلائمه الإدغام ، كما أن الإدغام مليح بأن قص الآيات قليلة كاف ليس في الإنذار فحسب ، بل في الحمل على التقى والصلاح كما دل عليه جواب الشرط .

الأعراف / ١٠١ : ورد الفعل المدغم في سياق آية افتتحت

باسم الإشارة (تلك القرى . . .) وذكر لفظ القرى يعقد الآية بسياقها السابق ، ويدل على أنها بنيت على الإجمال ؛ تعقيبا على تفصيل سبق

ذكره لقصص النبيين فالآيات من (١٠٢:٩٤) بما مجموعه (٩) آيات وقد بنيت هذه الآيات على الإجمال ؛تعقيباً على ما مضى من قصص قوم (نوح ،وهود، صالح ، ولوط ،وشعيب) عليهم السلام ، وما حل بهم ، وقبل قصة قوم موسى — ~~عليه السلام~~ — وكأنها تقتضي تفصيلاً وحدها ؛ لذا استغرقت مساحة كبرى من السورة بما مجموعه (٦٨) آية ، من (١٧١:١٠٣)

وكان ذكر قصص خمسة من النبيين قد استغرق (٣٣) آية (٩٢:٥٩) أي أن قصة موسى — ~~عليه السلام~~ — قد وردت في أكثر من ضعف ما أوردت فيه قصص كل النبيين في السورة ، والخلاصة أن الفعل المدغم جاء في سياق آيات وقعت تعقباً على ما مضى من قصص النبيين، وتمهيداً لقصة موسى — ~~عليه السلام~~ — والإجمال يلائمه الإدغام ، كما أن التعبير بالإدغام ملتح بأن ما ذكر من قصص السابقين إنما هو قليل لكنه على قلته كاف ؛ لأنها أنباء ، والنبأ لا يقال إلا في الخبر الصادق ؛ لذا لم يقل نقص عليك من أخبارها .

هود/١٠٠ : ورد الفعل المدغم في سياق آية بنيت على الإجمال عقب تفصيل قصص النبيين وأحوال الغابرين من أقوامهم فاسم الإشارة الذي ورد في صدر الآية (ذلك من أنباء القرى نقصه . . .) يشير إلى ما سبق من قصة قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى، والتعبير بالإدغام ملتح بأن ما ذكر من قصص عذابات أقوامهم قليل،

وهو على قلته كاف في الإنذار ، لأن ما ورد أنباء لا أخبار ، وما كان بهذا الوصف يكفي قليله عن كثيره .

هود/١٢٠ : وقع الفعل المدغم في سياق الفعل المدغم السابق، وقد ورد في آية بنيت على الإجمال (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) والإجمال يلائمه الإدغام ، لا الفك ، كما أن التعبير بالإدغام مريح بأن القليل من مثل هذه القصص كان كافيا في تثبيت فؤاده — عليه السلام — لأن مثله يكفيه القليل من ذلك .

يوسف / ٣ : لمح البقاعي مناسبة بين الفعل المدغم هنا ، والفعل المدغم السابق في سورة هود حيث قال : " ولما بين أنه يقص عليه من أنباء الرسل ما يثبت به فؤاده قال مثبتا ومعللا بأنه الكتاب بعلة أخرى مشاهدة هي أخص من الأول (نحن نقص عليك . . .) " ^(١) كما أن ذكر الفعل مدغما في صدر السورة يلائمه الإدغام ، كما أن المفعول به (أحسن القصص) يكفي قليله عن كثيره ما دام بهذا الوصف الذي ذكره ربنا .

الكهف/١٣ : ورد الفعل المدغم في صدر قصة أصحاب الكهف، ووروده في صدر القصة يلائمه الإدغام ، لا الفك ، لأن الإدغام مريح بالتفصيل الوارد بعد في القصة التي جاءت في الآيات (٢٦:٩) وقد سبقت الآية محل الفعل بأربع آيات أهملت القصة (أم حسبت أن

(١) نظم الدرر ٥/٤ .

أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) (الكهف/٩) وأنهم
فزعوا إلى ربهم وأن الله ضرب على آذانهم في الكهف سنين عددا ، ثم
بعثهم .

ثم جاء الفعل المدغم في سياق جملة نحوية (نحن نقص عليك
نبأهم بالحق) أتبع هذه الجملة بالتفصيل (إنهم فتية آمنوا بربهم . . .)
إلى آخر الآيات ، فالفعل المدغم وقع في سياق جملة مليحة بأن ما قبلها
كان إجمالا لقصتهم ، وما بعدها هو تفصيل لما أجمل ، فالسياق المقالي
للفعل حتم أن يأتي على نهج الإدغام لموقعه الذي ذكرته .

طه/٩٩ : ورد الفعل المدغم في سياق آية وقعت تعقيبا على ما

مضى من قصة موسى — الطيط — والسامري ، والتعقيب يلائمه
الإجمال ، والإجمال يلائمه الإدغام ، لا الفك ؛ لذا وقع الفعل مدغما .

النمل/٧٦ : ورد الفعل المدغم في سياق حديث عن بني

إسرائيل ، ناظرا إلى ما سبق في السورة من حديث عن حلقة من قصة
موسى — الطيط — وقصة سليمان — الطيط — بما لانظير له في الذكر
الحكيم ، ويمكننا أن نبصر بابا لفقه سر الإدغام في المفعول به (أكثر
الذي هم فيه يختلفون) فقد دل المفعول به على الإجمال ، ودل ما
أضيف إليه على أنه إجمال لشيء محدد ، وهو ما اختلف فيه ، والملائم
للمفعول به المجمل التعبير بالإدغام ، لا الفك ، وقد وقع الفعل بعد
سياق من تفصيل قصتي موسى وسليمان — عليهما السلام — وهما من
أنبياء بني إسرائيل ، والإجمال بعد التفصيل يلائمه الإدغام ، لا الفك .

سياق (نقصص) وأسرار الفك

النساء / ١٦٤ : ورد الفعل المضارع مفكوكا مقابل فعل ماض مفكوك من جنسه (قد قصصناهم) (لم نقصص) وقد بني الأسلوب على الطباق ، وقد جاء هذا الأسلوب تمهيدا لإسقاط حجة كل محتج ، فقد جاء بعده (رسلا مبشرين ومنذرين لنلا للناس على الله حجة بعد الرسل . . .) (النساء/ ١٦٥)

والمناسب لسوق هذه الحجة هو الفك الدال على كثرة ما ورد من قصص النبيين ، وكثرة ما لم يورد وهو الملائم لهذا السياق ، وهو المطابق للواقع من الوارد من قصص النبيين ، فجاء الفك ملائما للسياق .

يوسف/ ٥ : ورد الفعل المفكوك في سياق هي يعقوب — ~~الطبعة~~

— ولده يوسف — ~~الطبعة~~ — من قص رؤياه ، والملائم للتشديد في النهي هو الفك ؛ لأنه إظهار ، والنهي متجه إلى الإظهار ؛ لذا أكد النهي ببيان علته (فيكيدوا لك كيدا)

قال البقاعي : " وأكد النهي بإظهار الإدغام فقال : (لا تقصص رؤياك) " ^(١) وهو الملائم لسياق الحال لأنهم لم يكونوا أشقاء ، وإنما كانوا إخوة لأب ، ولما كانت الرؤيا في غاية البشارة لسيدنا يوسف — ~~الطبعة~~ — مما يثير إخوته ، كانت الحاجة إلى التشديد في نهيه عن إظهارها لهم أشد .

(١) نظم الدرر ١١، ١٠/٤ .

غافر / ٧٨ : ورد الفعل المفكوك في سياق يشبه سياق الفعل
الوارد في سورة النساء ، وقد ورد في أسلوب طباق سلب (قصصنا
عليك) (لم نقصص عليك) وقد جاء تعقيباً على تسليته — ﷺ —
(فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك
فإلينا يرجعون) (غافر/ ٧٧)

وقد عقب الذكر الحكيم بعد التركيب الذي ورد فيه الفعل
المفكوك بقوله (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر
الله قضي بالحق وخسر هنا لك المبطلون) فقد أحيط التركيب الذي
ورد فيه الفعلان مفكوكين بحديث عن تسليته — ﷺ —

وفي التعبير بالفك في هذا السياق ؛ إشارة إلى كثرة الوارد من
قصص النبيين ، وكثرة غير الوارد ، وأن نهاية ما ورد ، وما لم يرد من
أحوال النبيين وأقوامهم ، هي هلاك من تمسك بالباطل ، ونصر من
تمسك بالحق ، وفي هذا تناسب مع سياق التسلية ، وسياق حال التزلزل ،
ذاك أن السورة نزلت بمكة ، في حال كان المسلمون معه في حاجة إلى
التسلية ، فقد نزلت في مرحلة اشتد فيها الأذى ، واشتداد الأذى من
أحوج الأحوال إلى التسلية ، والتسرية .

يمس — يمسس

ورد الفعل المدغم في ثمانية عشر موضعا من الذكر الحكيم بصيغة المضارع ، وورد مقابلها مفكوكا في ثمانية مواضع من الذكر الحكيم على النحو التالي :

أولا : مواضع الإدغام :

١ — قال — تعالى — ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ﴾
(البقرة / ٨٠)

٢ — قال — تعالى — ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ﴾
(البقرة / ٢٣٦)

٣ — قال — تعالى — ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة ﴾ (البقرة / ٢٣٧)

٤ — قال — تعالى — ﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات ﴾ (آل عمران / ٢٤)

٥ — قال — تعالى — ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ (المائدة / ٧٣)

٦ — قال — تعالى — ﴿ والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ﴾ (الأنعام / ٤٩)

٧ - قال - تعالى - ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهِمُ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ (الأعراف / ٧٣)

٨ - قال - تعالى - ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّمْ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ (هود/٤٨)

٩ - قال - تعالى - ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ قَرِيبٍ ﴾ (هود/٦٤)

١٠ - قال - تعالى - ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (هود/١١٣)

١١ - قال - تعالى - ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (الحجر/ ٤٨)

١٢ - قال - تعالى - ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابُ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (مريم / ٤٥)

١٣ - قال - تعالى - ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الشعراء / ١٥٥، ١٥٦)

- ١٤ — قال — تعالى — ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً ﴾ (الأحزاب / ٤٩)
- ١٥ — قال — تعالى — ﴿ الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ (فاطر/ ٣٥)
- ١٦ — قال — تعالى — ﴿ قالوا إنا تطيرنا بكم لنن لم تنتهوا لنرجنكم وليمسنكم منا عذاب أليم ﴾ (يس/ ١٨)
- ١٧ — قال — تعالى — ﴿ وينجي الله الذين اتقوا بمفازهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾ (الزمر/ ٦١)
- ١٨ — قال — تعالى — ﴿ إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسسه إلا المطهرون ﴾ (الواقعة / ٧٧: ٧٩)

ثانيا : مواضع الفك :

- ١ — قال — تعالى — ﴿ قالت رب أنى يكون ولد ولم يمسني بشر ﴾ (آل عمران / ٤٧)
- ٢ — قال — تعالى — ﴿ إن تمسككم حسنة تسؤهم وإن تصيبكم سيئة يفرحوا بها ﴾ (آل عمران / ١٢٠)
- ٣ — قال — تعالى — ﴿ إن يمسككم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ (آل عمران / ١٤٠)
- ٤ — قال — تعالى — ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ (آل عمران/ ١٧٤)

- ٥ — قال — تعالى — ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنعام/١٧)
- ٦ — قال — تعالى — ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَرِدْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ ﴾ (يونس/١٠٧)
- ٧ — قال — تعالى — ﴿ قَالَتْ أُنَى يَكُونُ غَلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴾ (مريم/٢٠)
- ٨ — قال — تعالى — ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّي يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ (النور/ ٣٥)
- نزل من هذه المواضع خمسة عشر موضعا بمكة وأحد عشر موضعا بالمدينة ، وقد ورد اثنا عشر موضعا مدغما في النازل بمكة وستة مواضع في النازل بالمدينة ، ووردت ثلاثة مواضع من المفكوك بمكة ، وخمسة مواضع في النازل بالمدينة ، والسور على ترتيب النزول (
- الأعراف / ٣٩ — يس / ٤١ — فاطر / ٤٣ — مريم / ٤٤ — الواقعة / ٤٦ — الشعراء / ٤٧ — يونس / ٥١ — هود / ٥٢ — الحجر / ٥٤ — الأنعام / ٥٥ — الزمر / ٥٩ — البقرة / ٨٧ — آل عمران / ٨٩ — الأحزاب / ٩٠ — النور / ١٠٢ — المائدة / ١١٢)

سياق (يمس) وأسرار الإدغام

البقرة / ٨٠ ، آل عمران / ٢٤ : ورد الفعل المدغم في الموضعين في سياق حكاية حديث اليهود وكذبهم بأن الله لن يعذبهم ، وقد ورد الفعل مدغما ؛ تناسبا مع سياق المقال الذي يتظاهر على بيان كذب اليهود ، وسياق الحال ، وهو طبيعة اليهود في مثل ذلك ، والتعبير بالفعل المدغم يشير إلى أنهم يدّعون أن النار لن تصيبهم إلا على الوجه الأدنى ، وقد سبق الفعل بـ (لن) الدالة على تأكيد النفي عند جمهور النحاة ، وتأييده عند النحشري ، وكذلك تقييد المس الواقع على الوجه الأدنى بالأيام المعدودة ، فجاء الفعل المدغم مشيرا إلى الوجه الأدنى من المس ، تناسبا مع ادعاءات اليهود ، وقد ورد الفعل المدغم في سياق يشبه ما جاء في سورة البقرة ، وفي التعبير بالفعل مدغما إشارة إلى مغالاتهم في الادعاء بأنه لن يصيبهم إلا الوجه الأدنى من المس ، ولو عبر بالفك لما لاءم حالهم في الادعاء والكذب ؛ تلبسا على المؤمنين ؛ أملا في ردهم عن دينهم .

البقرة / ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، الأحزاب / ٤٩ : ورد الفعل المدغم في المواضع الثلاثة في سياق الحديث عن طلاق غير المدخول بها ، وقد جاء الفعل مدغما ؛ إشارة إلى عدم حدوث الحد الأدنى من المس ، وفي ذلك تنبيه بالأدنى على الأعلى ، وهو الملائم للسياق الجاري على تحديد الحقوق المترتبة على الفرقة بين الزوجين ، ومن المعروف أن المس هنا كناية عن الجماع ، والتعبير بالإدغام يلائم مثل هذا الموطن الذي يتظاهر على

إثبات حقوق مخصوصة على عدم حصول الوجه الأدنى من المس، فلو عبر بالفعل مفكوكا لاقتضى نوع مس، وذلك مما يخل بالحقوق المترتبة على الفرقة .

المائدة ٧٣/ : ورد الفعل المدغم في سياق تهديد النصارى الذي يعتقدون أن الله ثالث ثلاثة، وفي مجيئ الفعل مدغما في هذا السياق؛ إشارة إلى أنكم لن تطيقوا الحد الأدنى من المس، فما بالكم بالحد الأعلى، ويؤيده وصف العذاب بأنه أليم، أي أن القليل بهذا الوصف فكيف بالكثير .

الأنعام / ٤٩ : ورد الفعل المدغم في سياق وعيد المكذبين وتهديهم، وفي التعبير بالفعل مدغما إشارة إلى أن الحد الأدنى من مس العذاب لا يطيقها المكذبون، والسورة نازلة بمكة، وهي فترة يلائمها هذا النمط من التهديد والوعيد .

الأعراف / ٧٣، هود/ ٦٤، الشعراء/ ١٥٦ : ورد الفعل المدغم في المواضع الثلاثة في سياق الحديث عن ناقة ثمود قوم صالح — ~~الطهارة~~ — وقد لاءم الإدغام التشديد في النهي عن مسها، ولو بالوجه الأدنى من المس؛ لما يترتب على المس ولو على الوجه الأدنى من الأخذ بالعذاب، كما لاءم الإدغام سياقات الإنذار التي ورد الفعل المدغم فيها.

هود/ ٤٨ : ورد الفعل المدغم في سياق قصة نوح — ~~الطهارة~~ — وعيدا لمن كفر به من قومه، وفي مجيئ الفعل مدغما إشارة إلى أنهم لا طاقة لهم على تحمل الوجه الأدنى من المس بالعذاب، لأنه موصوف بأنه أليم، فالقليل من مسه مؤلم لا يطاق تحمله .

هود/١١٣ : ورد الفعل المدغم في سياق فهي المؤمنين عن الركون إلى الذين ظلموا ، والتعبير بالفعل مدغما هو الملائم لحال المخاطبين ، حيث يجدي معهم الوجه الأدنى في التخويف ؛لذا عبر بالفعل مدغما تخفيفا في الترهيب رفقا بالمؤمنين ، وقد وقع الفعل في آية بين آيتين وقعتا خطابا له — ﷺ — مرادا به الأمة (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا . . .) (هود/ ١١٢) وقوله : (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) (هود/١١٤) ونبصر فيها الرفق في التوجيه والرفق يلائمه التخفيف في الترهيب .

الحجر/٤٨ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن بشارة المؤمنين مقابلا للحديث عن نذارة المؤمنين ،وقد ورد الفعل مدغما منفيا؛بشارة للمؤمنين بأنه لن يصيبهم أدنى مس من النصب في الجنة،ويأتي ذلك ؛ تجاوزا مع سياق حال أهل الجنة الذي سيكونون عليه ،وسياق المقال ، حيث سبق الإخبار عن بشارتهم بقوله : — سبحانه — (ادخلوها بسلام آمنين) (الحجر/٤٦) فجاء الإدغام الدال على التخفيف مناسبا لسياق الحال والمقال .

مريم / ٤٥ : ورد الفعل المدغم في سياق حلقة من قصة إبراهيم — ﷺ — مع أبيه بما لانظير له في الذكر الحكيم ،وقد جاء الفعل مدغما ؛تناسبا مع سياق الرفق في النصح الذي ورد السياق على لاجبه، فقد ورد النداء أربع مرات (يا أبت) دلالة على شدة القرب الناتج عن شدة

الخوف ،وقد أنهى نصحه معه بقوله (سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا) (مريم / ٤٧) ولا يليق بسياق مقالي كهذا أن يرد الفعل بصيغة الإظهار الدالة على التشديد ، وإنما اللائق صيغة التخفيف (الإدغام) وكذلك جاء الإدغام ملائما سياق الحال فهو نصح نبي لأبيه .

فاطر/ ٣٥ : ورد الفعل المدغم مرتين في سياق حديث أهل الجنة عن امتنان الله عليهم ، وهم في الجنة (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) (فاطر/ ٣٤) وقد ورد حديثهم بصيغة الماضي؛تحقيقا للوقوع ، وقد ورد الفعلان ؛تجاوبا مع سياق الحال هذا،وكأنه جاء تجاوبا مع ما في سورة الحجر على نهج الترقى ؛تناسبا مع الترقى في الحال ؛لذا كرر هنا مرتين ؛لأنه حديث عن لسان أهل الجنة؛امتدادا لما في سورة الحجر ، حيث ورد ما هناك على نهج البشارة وهنا جاء على نهج تحقق البشارة ؛لذا نفى هناك المس عن النصب (لا يمسه فيها نصب) فقط ، أما هنا فقد عكس التركيب فرحهم بما تحقق من البشارة ؛ لذا كرر الفعل (لا يمسن فيها نصب ولا يمسن فيها لغوب) وكان يمكن ألا يكرر الفعل ، فيقال : لا يمسن فيها نصب ولا لغوب، لكن في إعادة الفعل مدغما منقيا تأكيدا على ما هم فيه من النعمة ، وسياق كهذا يلائمه الإدغام ؛ تأكيدا لنفي الوجه الأدنى من المس ؛ تلاؤما مع حال البشارة .

يس/١٨ : ورد الفعل المدغم في سياق وعيد الكافرين الرسل بالعذاب إن لم يكفوا عن دعوتهم ، وقد سبق الفعل بالقسم وبعدة توكيدات ، وبإخبارهم بتطيرهم (إنا تطيرنا بكم) (لنن لم تنتهوا لنرجنكم) (ولیمسنكم منا عذاب أليم) وقد جاء الفعل مدغما مبالغة في ترهيب الرسل من الوجه الأدنى من مس العذاب ؛ إشارة إلى أنهم لن تكون لهم طاقة بتحمل الوجه الأعلى ، وقد جاء التعبير بالإدغام ملانما حالهم في التكبر والعناد ، وإظهار القوة والرهبة للرسل ، قال البقاعي : " ولما كان الإنسان قد يفعل ما لا يؤخذ أثره ، فقالوا معبرين بالمس دون الإمساس " (١) أي : بالإدغام دون الفك ، ولعله يقصد بقوله ما لا يؤخذ أثره ، أي ما لا يظهر أثره .

الزمر/٦١ : ورد الفعل المدغم في سياق بشارة المتقين تقابلا مع سياق الكاذبين الكافرين ، وسياق البشارة يلائمه التأكيد على عدم إصابتهم بأدنى سوء ، والملائم لذلك الإدغام دون الفك ؛ تناسبا مع سياق البشارة ، أي : لا يصيبكم سوء ، ولا على الوجه الأدنى .

الواقعة/٧٩ : ورد الفعل في سياق النهي عن مس غير المطهرين للقرآن الكريم ، وقد ورد الفعل مدغما تأكيدا للنهي ؛ إشارة إلى عدم جواز المس ، ولو على الوجه الأدنى من غير المطهرين ، فهو على هذا نفي بمعنى النهي ، وهو أبلغ كما ذكر العلماء (٢) وقد جاء التشديد في النهي

(١) نظم الدرر ٢٥٢/٦ .

(٢) نظم الدرر ٤٢٥/٧ ، تفسير الجلالين والصاوي عليه ١٥٨/٣ .

متناسبا مع السياق المقالي ، فقد سبقت الآية محل الفعل بقوله : (إنه
لقرآن كريم في كتاب مكنون) (الواقعة / ٨٧،٧٧)

سياق (يمسس) وأسرار الفك

آل عمران / ٤٧ ، مريم / ٢٠ : ورد الفعل المدغم في الموضعين في سياق حديث القرآن عن مريم — عليها السلام — حين أُنْتَبِها بالبشارة بالمسيح ، وقد جاء في سياق تعجبها من ذلك ، وهي البتول الطاهرة؛ لذا تعجبت (أن يكون لي ولد) ونلاحظ في تأخير (ولد) في آل عمران و(غلام) في مريم إلى آخر الجملة إنكارا ودهشة من البشارة به، وكذلك الاستفهام التعجبي ، وجاء الفعل مفكوكا منفيا ؛ إلماعا إلى أن الولد لا يكون إلا عن وجه أعلى في المس ، فجاء الفعل المفكوك ملائما لحال النفي ؛ لأنها ليست في سياق إثبات عفتها وطهارتها ، فذلك معلوم عند مبشرها وعندها ؛ لذا لم تعبر بما يثبت طهارتها ، وهو الإدغام ؛ لأن السياق ليس له ، وإنما عبرت بما يؤيد تعجبها من هذه البشارة ، لاسيما أنها كانت عابدة متبلة تعلم أن هذا أمر ربها بواسطة ملائكته .

ولو كان السياق لإثبات العفة لطال العجب ، لكن العجب زال بمجرد أن سمعت (كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) وفي مريم (قال كذلك قال ربك هو علي هين) (مريم / ٢١) وليست البتول تريد الدفاع عن عفتها وطهارتها حين قالت : (ولم أك بغيا) لأن نفي البغي هنا نفي لعدم وجود السبيلين المألوفين لحصول الولد ، لا الزواج الظاهر المعلن الذي يلائمه التعبير بالفك ، ولا البغاء ، فالكلام في سياق تأييد تعجبها ودهشتها ، لا تأكيد عفتها وطهارتها .

آل عمران / ١٢٠ : الظاهر أن الفعل المفكوك ورد في سياق الحديث عن المنافقين بالمدينة المنورة الذين كانوا يتربصون بالمؤمنين، ويفرحون لكل ما يصيبهم من الأذى، ويحزنون لكل ما يمسه من حسنات، وقد وقع المسند إليه (حسنة) منكرا للتقليل ، ولعل الفعل قد وقع مفكوكا ؛ تعبيرا عن ظهور الحسنة ووضوحها ، لا عن عظمها وقدرها ، لأنهم لا يبصرون إلا الظاهر ؛ لذا عبر بما يناسب ، وهو الإظهار ، ولم يعبر بالإدغام الذي يناسبه الإخفاء .

وقد بني الأسلوب على المقابلة قابل الحسنة بالسيئة و(تسؤهم) بـ (يفرحوا بها) ولم يقل في جانب السيئة تمسككم ، وإنما عبر بما هو أظهر وأقوى ؛ كشفا عن البغضاء التي استولت على أفئدتهم ، وتناسبا مع مر السيئة ، كما ذكر السياق ، فهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليهم الأنامل من الغيظ ، كما سبقت الآية محل الفعل بأن المنافقين لا يألون المؤمنين خبالا ، وأنهم يجتهدون في ذلك ، فجاء الفك في هذا السياق؛ تلاؤما مع الكشف عما تضرره أفئدتهم ، وتكنه صدورهم من بغض المؤمنين .

آل عمران / ١٤٠ : ورد الفعل المفكوك في سياق الحديث عن غزوة أحد؛ تسلية للمؤمنين عما أصابهم ، وقد وقع الفعل المفكوك في حيز (إن) الشرطية ، وهي تفيد قلة وقوع مدخولها ، وهذا يناسبه الفك ، لا الإدغام ؛ ذاك أن الإدغام سيؤدي إلى أنه لم يصيبهم أدنى مس ، وإن أصابهم فعلى وجه القلة ، وهو غير مطابق للواقع ؛ لأنهم أصيبوا بقروح

ظاهرة يناسبها التعبير بالفك ، لا الإدغام ؛إشارة إلى وضوحها وظهورها ملائمة لواقع حال المؤمنين في غزوة أحد ، وما حل بهم لقاء مخالفتهم أمر رسول الله ﷺ — ومما يؤيد التعبير بالفك ما ورد في السياق بعد ذلك بأنهم قد أصابهم القرح (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح . . .) (آل عمران / ١٧٢)

آل عمران / ١٧٤ : ورد الفعل المفكوك في سياق الحديث عن غزوة ذات القروح التي أعقبت غزوة أحد ، والتي كانت ابتلاء للمؤمنين الذين أصابهم القرح في غزوة أحد ، والذي أبصره أن الفعل جاء مفكوكا؛ تنبيها بنفي الأعلى على انتفاء الأدنى ، ويؤيده وقوع الفعل بين جملتين تدلان على عظم النعمة (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) (واتبعوا رضوان الله) وتنكير المسند إليه (سوء) المراد به التعميم .

الأنعام / ١٧ ، يونس / ١٠٧ : ورد الفعل ثلاث مرات في هذين الموضعين ، وقد جاء ما في الأنعام في حيز (قل) في قوله — تعالى — (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) (الأنعام / ١٥) على نهج اللف والنشر " فمس الضر ناظر إلى قوله : (إني أخاف . . .) ومس الخير إلى قوله : (من يصرف عنه يومئذ . . .) " (١) والخطاب في (قل) " عام لكل من يقف عليه أو لسيد المخاطبين — ﷺ — " (٢) وقد

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٣٥/٤ .

(٢) روح المعاني ١٠٨/٤ .

جاء الفعلان المفكوكان في سياق تسليته — ﷺ — تلاؤما مع حال التزول، والموضعان هنا يشبه أن يكونا ترقيا لما جاء في سورة يونس فهي السابقة في التزول على سورة الأنعام .

وقد ذكر الفعل مرتين في سورة الأنعام، وورد الفعل في سورة يونس مرة واحدة، والذي يفسر سر الفك في الأنعام هو النظر إلى الفعلين في إطار أسلوب اللف والنشر، فإن قوله (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) يقابل قوله (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم)

وقد جاء الفك مناسبا لمقابله (عذاب يوم عظيم) فمثل هذا يلائمه التعبير بما يكشف عن الشدة، ألا تراه قال (من يصرف عنه يومئذ رحمه) فهو عذاب يهجم بكليته غضبا على من عصى ربه، كما أن الفك يلائم ما بعده (فلا كاشف له إلا هو) فهو عذاب يغطي صاحبه، ويظهر هو ويخفيه تحته .

وكذلك جاء الفعل الثاني (وإن يمسسك بخير) كشفا عن أنه خير ظاهر واضح لا يسوقه إلا من كان على كل شئ قديرا، كما أنه جاء مقابلا لحجم الضر الظاهر فناسب أن يأتي على الفك، لا الإدغام، وقد جاء الفعل مفكوكا في سورة يونس تناسبا مع سياقه المقالي والحالي؛ فالفك يشير إلى أن سيد الخلق ليس بعيدا من المس بالضر الظاهر الشديد، وهو الأسوة والقُدوة.

وفي ذلك دعوة للمؤمنين الأخيار معه إلى تحمل الأذى والضرر
تأسيا بنبيهم، وهذا الأسلوب هو الملائم لكل هذه المرحلة من
الدعوة، كما أن الفك لاءم ما بعده (فلا كاشف له إلا هو) فهو ضرر
جامح مسيطر، ومثل هذا الوصف يلائمه الفك، لا الإدغام .

النور/ ٣٥ : ورد الفعل المفكوك في سياق وصف نور الله —
سبحانه — أو وصف نور القرآن الكريم في وصف زيت المشبه به
(المشكاة) (يكاد زيتها يضى ولو لم تمسسه نار) ولعل في ورود الفعل
مفكوكا تنبيها إلى المبالغة في الوصف بنفي الأعلى تنبيها إلى نفي الأدنى
بقريته ما قبله وما بعده من السياق المقالي (يكاد زيتها يضى) وبعده
(نور على نور) وهو ما يلائم مصدر هذا النور .

والقرآن العظيم من كلامه — حَلَالٌ — الذي هو صفة من
صفاته ، والذي أراه أن التشبيه فقط لتقريب الصورة دون أن تكون
الصفة في المشبه به أعلى من المشبه، والصورة كثيفة وثرية لا نظير لها في
الذكر الحكيم ، وتكاثفها وتظاهرها على الكشف عن نور الله بالبيان
يلائمه الفك، لا الإدغام .

يضل — يضلل

ورد الفعل بصيغة المضارع مدغما في واحد وثلاثين موضعا،

وورد مقابله مفكوكا في ثلاثة عشر موضعا من الذكر الحكيم :

أولا : مواضع الإدغام :

١ — قال : — تعالى — ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ
فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يَضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يَضِلُّ
بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (البقرة/ ٢٦)

٢ — قال : — تعالى — ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا
يَضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (آل عمران / ٦٩)

٣ — قال : — تعالى — ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ
وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ
يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء/ ٦٠)

٤ — قال : — تعالى — ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ
مِنْهُمْ أَنْ يَضِلُّوكَ وَمَا يَضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ
اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء/ ١١٣)

٥ — قال : — تعالى — ﴿ وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام/ ١١٦)

٦ — قال : — تعالى — ﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمتعدين ﴾ (الأنعام/ ١١٩)

٧ — قال : — تعالى — ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ (الأنعام/ ١٢٥)

٨ — قال : — تعالى — ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لايهدي القوم الظالمين ﴾ (الأنعام/ ١٤٤)

٩ — قال : — تعالى — ﴿ إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ (الأعراف/ ١٥٥)

١٠ — قال : — تعالى — ﴿ إنما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله . . . ﴾ (التوبة/ ٣٧)

١١ — قال : — تعالى — ﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون . . . ﴾ (التوبة/ ١١٥)

١٢ — قال : — تعالى — ﴿ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ (يونس/ ٨٨)

- ١٣ — قال : — تعالى — ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب ﴾ (الرعد/٢٧)
- ١٤ — قال : — تعالى — ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾ (إبراهيم/٤)
- ١٥ — قال : — تعالى — ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ (إبراهيم/٢٧)
- ١٦ — قال : — تعالى — ﴿ وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾ (إبراهيم/٣٠)
- ١٧ — قال : — تعالى — ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ (النحل/٢٥)
- ١٨ — قال : — تعالى — ﴿ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ﴾ (النحل/٣٧)
- ١٩ — قال : — تعالى — ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ (النحل/٩٣)
- ٢٠ — قال : — تعالى — ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ (الحج/٤)

- ٢١ — قال : — تعالى — ﴿ ثَابِتٍ عَظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحج/٩)
- ٢٢ — قال : — تعالى — ﴿ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونِ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان/٤٢)
- ٢٣ — قال : — تعالى — ﴿ وَمَنْ النَّاسُ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (لقمان/٦)
- ٢٤ — قال : — تعالى — ﴿ أَقْمِنَ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر/٨)
- ٢٥ — قال : — تعالى — ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (ص/٢٦)
- ٢٦ — قال : — تعالى — ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ اللَّهُ أُنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ . . . ﴾ (الزمر/٨)
- ٢٧ — قال : — تعالى — ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ مَنْ بَعْدَهُ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ (غافر/٣٤)

- ٢٨ — قال : — تعالى — ﴿ من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ﴾ (غافر/٧٤)
- ٢٩ — قال : — تعالى — ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ (محمد/٤)
- ٣٠ — قال : — تعالى — ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ﴾ (نوح/٢٧)
- ٣١ — قال : — تعالى — ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي إليه من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ (المدثر/٣١)

ثانيا : مواضع الفك :

- ١ — قال : — تعالى — ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ (النساء/٨٨)
- ٢ — قال : — تعالى — ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ (النساء/٤٣)
- ٣ — قال : — تعالى — ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ (الأنعام/٣٩)
- ٤ — قال : — تعالى — ﴿ من يهد الله فهو المهتدى ومن يضل الله فاولئك هم الخاسرون ﴾ (الأعراف/١٧٨)

٥ - قال : - تعالى - ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ (الأعراف / ١٨٦)

٦ - قال : - تعالى - ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبتونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ (الرعد / ٣٣)

٧ - قال : - تعالى - ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ﴾ (الإسراء / ٩٧)

٨ - قال : - تعالى - ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ (الكهف / ١٧)

٩ - قال : - تعالى - ﴿ الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ (الزمر / ٢٣)

١٠ - قال : - تعالى - ﴿ أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ (الزمر / ٣٦)

١١ - قال : - تعالى - ﴿ يوم تولون مدبرين ما لكم من الله عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ (غافر / ٣٣)

١٢ — قال : — تعالى — ﴿ ومن يضلل الله فماله من ولي من بعده وترى
الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ﴾ (الشورى/٤٤)
١٣ — قال : — تعالى — ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون
الله ومن يضلل الله فماله من سبيل ﴾ (الشورى/٤٦)

ورد واحد وعشرون موضعا من المدغم في النازل بمكة ، وأحد
عشر موضعا في النازل بالمدينة ، ووردت عشرة مواضع من المفكوك في
النازل بمكة ، وثلاثة مواضع في النازل بالمدينة ، والسور على ترتيب
التزول (المدثر / ٤ — ص/٣٨ — الأعراف / ٣٩ — الفرقان/٤٢ —
فاطر/٤٣ — الإسراء / ٥٠ — يونس/ ٥١ — الأنعام/ ٥٥ — لقمان / ٥٧ —
الزمر/ ٥٩ — غافر / ٦٠ — الشورى / ٦٢ — الكهف / ٦٩ — النحل
/ ٧٠ — نوح / ٧١ — إبراهيم / ٧٢ — البقرة/ ٨٧ — آل عمران/ ٨٩ —
النساء / ٩٢ — محمد / ٩٥ — الرعد / ٩٦ — الحج/ ١٠٣ — التوبة
/ ١١٣) والملاحظ أن أغلب المواضع قد وقعت في النازل بمكة ، حيث
بلغ واحدا وثلاثين موضعا، وبلغ النازل في المدينة أربعة عشر موضعا وفي
ذلك ملائمة لحال التزول وما يشبهه على مر الزمان في مكة والمدينة.

سياق (يضل) وأسرار الإدغام

البقرة/ ٢٦ : ورد الفعلان المدغمان في سورة البقرة ، وهي مدنية وقد جاء مدغمين ؛إشارة إلى أن المراد الحد الأدنى من الإضلال ؛تناسبا مع نوع المثل (البعوض) فإنه مستحقر عندهم ، فناسب ذلك الإضلال الخفيف ، وإضلالهم معناه ألا يفهمهم المراد منه كما ذكر البقاعي (١)فالتعبير بالإضلال مدغما في الموضوعين تعلق بهما ضمير يعود إلى المثل (يضل به) (وما يضل به)

آل عمران / ٦٩ : ورد الفعلان المدغمان في سياق الحديث عن أماني أهل الكتاب من المؤمنين ،وقد جاء الفعلان مدغمين ؛إشارة إلى غاية أمنيتههم ، مما يوحي بمقدار ثبات المؤمنين على دينهم ،بما تكون غاية أهل الكتاب من الإضلال ،ولو على الحد الأدنى ، ويؤيده افتتاح الآية بقوله (ودت) كما يتأيد ذلك بالسياق اللاحق الذي لا نظير له في الذكر الحكيم (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)(آل عمران / ٧٢)وهو ما يصور اجتهاد أهل الكتاب في إضلال المؤمنين ،ولو على الوجه الأدنى.

النساء/ ٦٠ : ورد الفعل المدغم مسندا إلى الشيطان ، ومؤكدا بالمصدر والوصف ، ولعل التعبير بالفعل مدغما جاء ملائما للمسند إليه؛كشفا

(١) نظم الدرر ٧٦/١ .

عن خفايا مسالكه في إغواء بني آدم حتى يذهب به في الضلال إلى غير رجعة إلى هدى .

النساء/ ١١٣ :ورد الفعلان المدغمان في سياق الحديث عن فضل الله على نبيه ، وربما يكون في النظر إلى المفعول به (أن يضلوك) بابا لفقه سر الإدغام ، فإن الضمير يعود إليه — ﷺ — وهذا مما يجعل الملائم التعبير بالإدغام ، لا الفك ؛لأن همهم لن يكون إلا للوجه الأدنى من الإضلال ،ووقع الفعل الثاني مدغما مشاكلة للأول ؛ وإبلاغا في رد ما يهمون به إلى فحورهم .

الأنعام/ ١١٦ : ورد الفعل المدغم في سياق يشبه سياق الفعل السابق ،والمفعول به ضمير يعود إليه — ﷺ — والملائم للمفعول به التعبير بالفعل المدغم ؛إشارة إلى أن محاولاتهم مطمحها إلى الحد الأدنى من الإضلال ، ويلانمه الإدغام ، لا الفك .

الأنعام/ ١١٩ : ورد الفعل المدغم في سياق النهي عن أكل اللحوم المذبوحة ذبحا غير شرعي لم يذكر اسم الله ، وقد عبر بالفعل مدغما ؛تناسبا مع السياق ،فقد وقع قيدان (بأهوائهم — بغير علم) وهذان القيدان يدلان على خفاء الإضلال ، وهو مما يناسبه الإدغام ، لا الفك .

الأنعام/ ١٢٥ : ورد الفعل المدغم في سياق أسلوب مقابلة، فقد قابل (يهديه) بـ (يضلّه) و (يشرح صدره) بـ (يجعل صدره ضيقا حرجا) وقد وقع الفعل المدغم متعلقا بفعل شرط (يرد) وجواب الشرط (يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) والذي

أبصره أن جواب الشرط هو باب لفقه سر الإدغام حيث يشير إلى أن أدنى وجوه الإضلال يترتب عليه أن يكون صدره بهذا الوصف الذي لا نظيره في الذكر الحكيم ، ويؤيده إسناد الفعل (يضل) للاسم العلم ، وفيه من الإشعار بالمهابة ما فيه .

الأنعام / ١٤٤ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن الذين يجرمون ما أحل الله ، والذين يصنعون هذا يتبعون أساليب خفية للتلطف إلى إضلال الناس ، وإضلال كهذا يناسب التعبير عنه الإدغام ، لا الفك ، يدل على إرادة إظهار الإضلال ، ولم يكن ذلك موافقا لمسالك المضلين الذين يفترون الكذب لإضلال الناس .

الأعراف / ١٥٥ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن قصة موسى — **عليه السلام** — بعد غضبه ، وقد جاء الفعل المدغم في أسلوب طباق مع قوله (تهدي) وقدم الإضلال على الهدى ؛تناسبا مع ذكر الفتنة ،وقد جاء الفعل مدغما تناسبا مع ذكر هذه الفتنة التي تصيب بالإغلاق، الذي يناسبه الإدغام .

التوبة / ٣٧ : ورد الفعل المدغم في سياق اعتداء المشركين على الأشهر الحرم ، وقد وقع المسند إليه ضميرا يعود على النسيئ الذي كان من فعل أهل الجاهلية وأبطله الإسلام ، لكونه طريقا خفيا من طرق

الإضلال ، ولخفاء المسند إليه في الإضلال ، وورد الفعل مدغما ؛تناسبا مع خفائه في الإضلال ، فتناسب الإدغام الدال على الإخفاء ، لا الفك الدال على الإظهار .

التوبة/١١٥ : ورد الفعل المدغم منفيا بأسلوب الجحود دلالة على عدم حصول الضلال بعد إرادة الهداية ، والمناسب لهذا الأسلوب المبالغة في انتفاء حصول ذلك ، فعبر بالفعل مدغما ؛إشارة إلى عدم حصول الوجه الأدنى من الضلال ، وإذا انتفى الأدنى انتفى الأعلى، فتناسب الإدغام ، لا الفك .

يونس / ٨٨ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن ضلال فرعون وقومه ، وأنهم يستخدمون ما هو موجب للشكر وسيلة للإضلال،وقد جاء الفعل مدغما ؛ إشارة إلى ولوج خفي المسالك؛إضلالا للناس ، والمناسب لذلك هو الإدغام الدال على الخفاء لا الفك الدال على الظهور .

الرعد/٢٧ : ورد الفعل المدغم في سياق التعقيب على الحديث عن مطالب الكافرين بإنزال الآيات ، وقد جاء الفعل مسندا إلى ضمير يعود على الاسم العلم (الله) وقد وقع الفعل مدغما ؛ تعبيراً عن عظيم ذلك من الله ، وإن قل ، ويؤيده تقديم الإضلال على الهداية .

إبراهيم / ٤ : ورد الفعل المدغم في سياق امتنان الله على الناس بإرسال الرسل بلسان أهمهم ؛ إبلاغا في البيان ، وقد أسند الفعل المدغم إلى لفظ الجلالة، وقد جاء مدغما تنبيها إلى أن القليل من إضلاله عظيم، ويؤيده تقديم الإضلال على الهدى .

إبراهيم / ٢٧ : ورد الفعل المدغم في سياق امتنان الله على المؤمنين بتشيتهم على كلمة التوحيد في الدنيا ولا في الآخرة ، وإضلال مقابلهم، وقد أسند الفعل المدغم إلى لفظ الجلالة ؛ إشعارا بالمهابة ، وإشارة إلى أن القليل منه عظيم .

إبراهيم / ٣٠ : ورد الفعل المدغم في سياق حديث القرآن عن المشركين الذين يجعلون لله أندادا ؛ بغية إضلال الناس عن سبيله ، ومن كانوا كذلك يسلكون المسالك الخفية للإضلال ؛ لذا عبر عن ذلك بالإدغام المناسب لخفاء مسالكهم ، ولم يعبر بالفك الدال على الإظهار .

النحل / ٢٥ : ورد الفعل المدغم في سياق حديث القرآن عن أقوال المشركين وحججهم ، وقد جاء الفعل المدغم مسندا إلى من يضل الكافرين ، وأهم يحملون أوزارهم وأوزار من يضلونهم ، وأحسب أن في ورود الفعل مدغما إشارة إلى خفاء الأمر على من أضلوهم بقريئة أنهم

يحملون أوزارهم ، والملائم للتعبير عن خفاء إضلالهم الإدغام ، لا الفك الدال على الظهور والوضوح .

النحل / ٣٧ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن حرصه ﷺ — على هداية الكل ، وقد جاء الفعل في جواب شرط مفعولا به للفعل المنفي (لا يهدي) وقد وقع مدغما ؛ إشارة إلى أن حرصك على هدايتهم لا يمكن أن يغير إرادة الله إضلالهم ، ولو كان ذلك على وجه خفيف من الإضلال ، وهو الملائم للتخفيف من حرصه ويخفف نفسه — ﷺ — على هدايتهم .

النحل / ٩٣ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن إرادة الله — عز و علا — وقد ورد الفعل مدغما ؛ إشارة إلى أن إرادته — سبحانه — كائنة حتى على الوجه الخفيف ، والملائم للتعبير عن ذلك الإدغام الدال على الوجه الأدنى .

الحج / ٤ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عمن يجادل في الله بغير علم متبعا كل شيطان مريد ، وقد أسند الفعل إلى الشيطان ، ومسالك الشيطان في الإضلال خفية يناسب خفاءها التعبير بالإدغام الدال على الإخفاء ، لا الفك الدال على الظهور والوضوح .

الحج/٩ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن الجادل المتكبر المختال ، وقد اقترن الفعل المدغم بلام التعليل ، وقد وقع الفعل المدغم علة لثنيه عطفه ، وكون ثنيه عطفه سبيلا للإضلال مما يخفى أمره ، والملائم للخفاء التعبير بالإدغام ، لا الفك .

الفرقان /٤٢ : ورد الفعل المدغم في سياق حديث القرآن عن أقوال الكافرين ، ومجابهتهم له — ﷺ — وقد سبق الفعل بفعل آخر دال على مقارنة وقوع الضلال دون حصوله (كاد) وفي التعبير بالفعل مدغما؛ إشارة إلى انتفاء حصول الوجه الأدنى من الضلال ؛تناسبا مع سبقه — (كاد) ولو وقع الفعل مفكوكا لنافر هذا السياق ، كما لاءم الإدغام حالهم في عدم إضلالهم عن آهتهم ، ولو على الوجه الأدنى .

لقمان /٦ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ، وقد جاء الفعل مدغما ؛تناسبا مع خفاء المسلك الذي يسلكه ذلك الصنف من الناس للإضلال ، والخفاء يناسبه الإدغام .

فاطر/ ٨ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن التحذير من الشيطان ، وقد وقع الفعل المدغم مسندا إلى ضمير يعود إلى الاسم الجليل (الله) إشعارا بالمهابة ، وبأن القليل منه — عز وجل — عظيم ، وأن إرادته تخفى على الكل ، ويناسب كل ذلك الإدغام .

ص/٢٦ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن حلقة من قصة

داود — **الضلال** — فها له عن اتباع الهوى حتى لا يؤدي به إلى الضلال عن سبيل الله ، والهوى من المسالك الخفية في الضلال ، وقد جاء الفعل مسندا إلى ضمير يعود على الهوى ، كما تعلق بضمير يعود على داود — **الضلال** — معبرا بالإدغام ؛ تناسبا مع خفاء المسند إليه ، وتناسبا مع المفعول به ، لأن اخذ من الوجه الأدنى ، ثم ختم الآية بجملة تذييلية حوت فعلا مدغما من جنس سابقه ، وقد جاء الفعل مدغما ؛ تناسبا مع الخبر (لهم عذاب شديد) إشارة إلى أن الوجه الأدنى من الضلال له هذا القدر من العذاب ، وذلك ألصق بمقام التحذير .

الزمر/٨ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن الشرك

الخفي ، بقرينة ما جاء في أول السورة (ألا لله الدين الخالص) (الزمر/٣) والشرك الخفي ضلال خفي يلائم التعبير عنه الإدغام ، لا الفك .

غافر/٣٤ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن حلقة من قصة

موسى — **الضلال** — في حديث المؤمن ، وتذكير القوم بالأنبياء من قبل ، وقد جاء الفعل مدغما ؛ تنبيها إلى أن القليل منه — عز وجل — عظيم الخطر ، بقرينة إسناد الفعل إلى الاسم الجليل (الله) وقرينة وصف المفعول به بهذا الوصف (مسرف مرتاب)

غافر/٧٤ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن الأهوال التي يلقاها الكافرون يوم القيامة ، والخطاب يوم القيامة لا يحتاج إلى تأكيد؛ لذا عبر بالإدغام ، ولم يعبر بالفك ، لأن المقام ليس لتأكيد حصول الضلال .

محمد/ ٤ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن الجهاد في سبيل الله ، وقد ذكر الفعل بعد قوله — تعالى — (والذين قتلوا في سبيل الله) وقد وقع الفعل مدغماً ؛ إشارة إلى عظم الأجر بالتأكيد على انتفاء حصول الضلال عن أعمالهم ، ولو على الوجه الأدنى ، ويؤكد النفى بـ (لن) وهي تفيد تأكيد النفى ، ويؤيد ذلك الآيات المتتابعة بعد الفعل (سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) (محمد/٥، ٦)

نوح/ ٧ : ورد الفعل المدغم في سياق دعاء نوح — الصلوات — على قومه ألا يذر الله منهم أحدا ، وقد جاء الفعل مدغماً ؛ تناسبا مع أدب النبوة في الأمور المستقبلية في الميل إلى الوجه الأدنى حتى لا يرقى إلى اليقين ، ويؤيده التعبير بـ (إن) الشرطية ، لا بإذا ؛ لذا عبر بالإدغام تناسبا مع السياق والموقف ، وفي كلام البقاعي شئ من هذا حين قال : "(إن تذرهم) أي : تتركهم على أي حالة كانت في إبقائهم

سالمين على وجه الأرض على ما هم عليه من الكفر والضلال
والإضلال، ولو كانت حالة دنية" (١)

المدر ٣١/ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن عدة خزنة
النار، وبيان أن عدتهم فتنة للكافرين ، ومن في قلوبهم مرض ، وقد ورد
الفعل مدغما تناسبا مع ذكر الفتنة التي تعمي على العقل فتخفي عنه
الفهم ، والإخفاء يلائمه التعبير بالإدغام ، فوق أن الفعل مسند إلى لفظ
الجلالة ؛ تنبيهها على أن القليل منه — سبحانه — جليل .

(١) نظم الدرر ١٧٨/٨ .

سياق (يضلل) وأسرار الفك

النساء/ ٨٨ : ورد الفعل المفكوك في سياق جملة وقعت تذييلا للحديث عن المنافقين ، واختلاف الصحابة فيهم على فتيين ، وقد وقع الفعل عقب جملة إنشائية (أتريدون أن تفتدوا من أضل الله) وهذا يعني أن ضلال المنافقين صار أمرا واضحا جليا لا يخفى ؛ لذا جاء الفعل تعقبيا على ذلك بالفك الدال على الإظهار والوضوح ؛ إشارة إلى أن ضلال المنافقين صار من الأمور المشتهرة .

النساء/ ١٤٣ : ورد الفعل المفكوك في سياق الحديث عن خداع المنافقين ، وذكر علامات من علاماتهم بما يكشف معه أمرهم للكل (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)
(النساء/ ١٤٢، ١٤٣)

وهذه علامات ثلاثة ظاهرة جلية تدل عليهم وتفضح أمرهم ، ثم عقب على ذلك بجملة تذييلية ؛ تأكيدا على عدم رجوعهم إلى هدى أبدا ؛ لأن ضلالهم صار من الأمور الواضحة المعروفة ، وقد جاء الفعل مفكوكا مع هذا السياق الدال على التشهير ، وكشف ما في أفئدة المنافقين بالأعمال الظاهرة الواضحة .

الأنعام/ ٣٩ : ربما يدلنا مقابل الفعل المفكوك على سر الفك (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) فلم يقابل الضلال بالهدى كما ورد في مواضع كثيرة ، وإنما أورد المقابلة بأسلوب الكناية، فقد كنى عن الهداية بالصراط المستقيم ، وفي ذلك تأكيد للهداية يلائمه التأكيد في الضلال ، والتأكيد يلائمه الفك الدال على الظهور والوضوح ، لا الإدغام .

ويتأيد ذلك بالسياق السابق الذي جعل الضالين في غيب من الظلمات تحيط بهم من كل جانب ، وذلك باستخدام حرف الوعاء (في الظلمات) وهم في هذا الغيب صم بكم ، وهو ضلال حسي محيط يلائمه التعبير بالضلال المعنوي على وجه التأكيد الذي يلائمه الفك .

الأعراف / ١٧٨ : ورد الفعل المفكوك في سياق أسلوب طباق، وربما يكون النظر في الطرف الأول من الطباق مفتاحا لفقه سر الفك، فقد جاء الطرف الأول على هذا النحو (من يهد الله فهو المهتدي) فإننا نلاحظ أن جواب الشرط في الطرف الأول وقع جملة اسمية تؤكد على فعل الشرط .

وقد جاء الفعل المفكوك في أسلوب شرط عطف على أسلوب الشرط السابق ، وقد وقع جوابه كذلك جملة اسمية تؤكد على ما يترتب على فعل الشرط ، فقد وقع الفعل المفكوك في سياق يتظاهر على التأكيد على الهداية ، وجاء التأكيد على المقابل بالفعل مفكوكا ؛ إعلانا لتأكيد الضلال جريا على نسق واحد في التوكيد ، والملائم لذلك الإظهار ، لا الفك .

الأعراف / ١٨٦ : ورد الفعل المفكوك فعل شرط ، جاء جوابه مؤكدا على انتفاء الهداية لمن أضله الله ، وفي التعبير بالفك تناسب مع جواب الشرط ، أي : من يظهر الله ضلاله فلا يمكن أن يهديه أحد أبدا ، ففي التعبير بالفك تأكيد على حصول الضلال ووضوحه وظهوره .

الرعد / ٣٣ : ورد الفعل المفكوك في سياق الحديث عن المشركين واتخاذهم شركاء من دون الله ، وقد وقع الفعل المفكوك فعل شرط جاء جوابه مؤكدا لفعله ؛ لذا عبر بالفك ؛ إشارة إلى أن هذا الصنف قد اتضح ضلاله وظهر ، وانتفت هدايته ، وفي هذا تناسب مع جواب الشرط (فما له من هاد) الذي جاء جملة اسمية لتوكيد وقوع الفعل وحصوله .

الإسراء / ٩٧ : ورد الفعل مفكوكا ؛تناسبا مع ما قبله (من يهد الله فهو المهتدي) وقد أكد جواب الشرط على حصول فعله ، وتناسبا مع ما بعده حيث وقع الفعل (يضلل) فعل شرط ووقع جوابه جملة شرطية ماضية على فتح التوكيد (فلن تجد لهم أولياء من دونه) والتأكيد يناسبه الإظهار ؛لذا جاء الفعل مفكوكا ؛إشارة إلى وضوح ضلالهم وظهوره .

الكهف / ١٧ : ورد الفعل مفكوكا ؛تناسبا مع أسلوب الشرط الوارد قبله (من يهد الله فهو المهتد) وقد أكد جواب الشرط على حصول فعل الشرط ، كما جاء متناسبا مع جواب شرطه (فلن تجد له وليا مرشدا) حيث أكد على انتفاء هداية من أظهر الله ضلاله بـ (لن) التي تفيد تأكيد النفي ، ففي التعبير بالفعل مفكوكا إشارة إلى وضوح ضلاله واشتهاره ، وقد أشار البقاعي إلى ذلك حيث قال : "(ومن يضلل) إضلالا ظاهريا بما دل عليه الإظهار بإعمائه عن طريق الهدى ، فهو لا غيره الضال " (١)

الزمر / ٢٣، ٣٦ : ورد الفعل المفكوك في جملة وقعت تذييلا لما قبلها ، وفي التعبير بالفك تناسب مع السياق السابق على الفعل واللاحق له ، فقد سبقت الجملة محل الفعل بالحديث عن أوصاف الكتاب العزيز

(١) نظم الدرر ٤/ ٤٥٣ .

بما لا نظيره في الذكر الحكيم ، فهو كتاب تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، وهذا يعني أن من لا يهديه هذا الكتاب فلا هادي له ، وضلاله حينئذ يكون ضلالا واضحا بينا ؛ لذا جاء الفعل على نهج الإظهار المناسب لهذا السياق ، كما جاء كذلك ملائما جوابه (فما له من هاد) بانتفاء هدايته تماما .

كما جاء الفعل مفكوكا بعد ذلك أيضا تناسبا مع هذا السياق، ومع ما بعده حيث تفردت السورة بقوله : — تعالى — (ومن يهد الله فماله من مضل) فقد ورد الحديث عن الهداية والضلال في أسلوب شرط متعاقبين ، وبني جوابهما على التوكيد ، والتوكيد يلائمه الإظهار ، لا الإدغام؛ لذا لم نر كهذه السياقات في الفعل المدغم المقابل للفعل المفكوك.

غافر/ ٣٣ : ورد الفعل المفكوك في سياق تحذير المؤمن قومه من عذاب يوم القيامة (يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم) وسياق التحذير والتخويف بمواقف القيامة يقتضي التأكيد الذي يلائمه الإظهار، كما أن التعبير بالفعل مفكوكا لاءم ما قبله (ما لكم من الله من عاصم) وقد جاء جواب الشرط على نهج هذا التركيب من التوكيد (فماله من هاد)

وقد وقع الفعل المفكوك فعلا لأسلوب الشرط الذي هذا جوابه، وكل ذلك مما يحتم وروده مظهرا تلاؤما مع سياق الموقف ، والسياق السابق واللاحق ، وقد أشار البقاعي إلى شئ من هذا حيث قال : " (ومن يضل) أي : الملك المحيط بكل شئ الباطن في أودية الجلال الظاهر في مظاهر القهر والجمال إضلالا جبله عليه ، فهو في غاية البيان بما أشار إليه الفك " (١)

الشورى / ٤٤ : وقع الفعل في سياق أسلوب شرط ، وقد جاء جواب الشرط مؤكدا (فما له من ولي من بعده) وما تبعه من الحديث عن حال الظالمين الضالين يوم القيامة ، من عرضهم على النار أذلاء خاشعين .

وسياق التحذير والترهيب يلائمه التأكيد ؛ لذا جاء الفعل على نهج الإظهار ؛ تناسبا مع هذا السياق ؛ إشارة إلى وضوح ضلاله وظهوره وقد ألمح البقاعي إلى هذا حيث قال : " (ومن يضل) أي : الذي له صفات الكمال إضلالا واضحا بما أفاده الفك بعدم البيان أو بعدم التوفيق " (٢)

(١) نظم الدرر ٥١٢/٦ .

(٢) نظم الدرر ٦٤٣/٦ .

الشورى ٤٦ : ورد الفعل على نهج الفك ؛تناسبا مع سياقه السابق واللاحق ، فقد ورد في سياق أسلوب شرط وقع جوابه مؤكداً على خسران من انطبق عليه الفعل (فماله من سبيل) وقد جاء على نهج التوكيد .

كما أن الفعل سبق بالتأكيد على انتفاء النصير من دون الله بأسلوب مؤكد (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) والملائم لهذا النهج من التوكيد الإظهار ؛ لذا جاء الفعل مفكوكا ، قال البقاعي : " (ومن يضل الله) أي : يوجد ضلاله إيجادا بليغا بما أفاده الفك على سبيل الاستمرار بعدم البيان أو بعدم التوفيق بعد البيان" (١)

(١) نظم الدرر ٦/٦٤٥ .

يحب — يحب

ورد الفعل بصيغة المضارع مدغما أربعاً وخمسين مرة ، وورد مقابله مفكوكا في موضع واحد في الذكر الحكيم :

أولا : مواضع الإدغام :

- ١ — قال : — تعالى — ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ (البقرة/١٦٥)
- ٢ — قال : — تعالى — ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ (البقرة/٢١٦)
- ٣ — قال : — تعالى — ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران/٣١)
- ٤ — قال : — تعالى — ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران / ٣٢)
- ٥ — قال : — تعالى — ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران /٥٧)
- ٦ — قال : — تعالى — ﴿ بَلَىٰ مِنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنِ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران /٧٦)

٧ — قال : — تعالى — ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾
(آل عمران / ٩٢)

٨ — قال : — تعالى — ﴿ هَأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّوهُمْ وَلَا تُحِبُّوهُمْ وَتُؤْمِنُونَ
بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ (آل عمران / ١١٩)

٩ — قال : — تعالى — ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاطِمِينَ
الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْإِحْسَنِينَ ﴾ (آل عمران / ١٣٤)

١٠ — قال : — تعالى — ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ
شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران / ١٤٠)

١١ — قال : — تعالى — ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا
وَهَنُوا لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران / ١٤٦)

١٢ — قال : — تعالى — ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ
الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْإِحْسَنِينَ ﴾ (آل عمران / ١٤٨)

١٣ — قال : — تعالى — ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ
حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ
مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ (آل عمران / ١٥٢)

١٤ — قال : — تعالى — ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران / ١٥٩)

١٥ — قال : — تعالى — ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ
يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَقَازَةِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (آل عمران / ١٨٨)

١٦ — قال : — تعالى — ﴿ إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾
(النساء/٣٦)

١٧ — قال : — تعالى — ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ﴾ (النساء/١٠٧)

١٨ — قال : — تعالى — ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما ﴾ (النساء/١٤٨)

١٩ — قال : — تعالى — ﴿ ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب الحسنين ﴾ (المائدة/١٣)

٢٠ — قال : — تعالى — ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ (المائدة/٤٢)

٢١ — قال : — تعالى — ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ (المائدة/٥٤)

٢٢ — قال : — تعالى — ﴿ ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾ (المائدة/٦٤)

٢٣ — قال : — تعالى — ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ (المائدة/٨٧)

٢٤ — قال : — تعالى — ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما تقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب الحسنين ﴾ (المائدة/٩٣)

- ٢٥ — قال : — تعالى — ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام / ١٤١)
- ٢٦ — قال : — تعالى — ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف / ٣١)
- ٢٧ — قال : — تعالى — ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف / ٥٥)
- ٢٨ — قال : — تعالى — ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ (الأعراف / ٧٩)
- ٢٩ — قال : — تعالى — ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ أَعْيُنَنَا وَمَا نَخَافُكُمْ أَيَّامَ حَسَابِ الْيَوْمِ الَّذِي تَصْعَدُونَ فِي الْأَنْفَالِ ﴾ (الأنفال / ٥٨)
- ٣٠ — قال : — تعالى — ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة / ٤)
- ٣١ — قال : — تعالى — ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة / ٧)
- ٣٢ — قال : — تعالى — ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (التوبة / ١٠٨)

- ٣٣ — قال : — تعالى — ﴿ لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين ﴾ (النحل/٢٣)
- ٣٤ — قال : — تعالى — ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ (الحج/٣٨)
- ٣٥ — قال : — تعالى — ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ (النور/١٩)
- ٣٦ — قال : — تعالى — ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ (النور/٢٢)
- ٣٧ — قال : — تعالى — ﴿ إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ (القصص/٧٦)
- ٣٨ — قال : — تعالى — ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (القصص/٧٧)
- ٣٩ — قال : — تعالى — ﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ﴾ (الروم/٤٥)
- ٤٠ — قال : — تعالى — ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (لقمان/١٨)
- ٤١ — قال : — تعالى — ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إن الله لا يحب الظالمين ﴾ (الشورى/٤٠)

- ٤٢ — قال : — تعالى — ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات / ٩)
- ٤٣ — قال : — تعالى — ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (الحجرات / ١٢)
- ٤٤ — قال : — تعالى — ﴿ لَكُمْ لَا تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد / ٢٣)
- ٤٥ — قال : — تعالى — ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ (الحشر / ٩)
- ٤٦ — قال : — تعالى — ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة / ٨)
- ٤٧ — قال : — تعالى — ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانُوا بَنِيَانٍ مَّرْصُوعِينَ ﴾ (الصف / ٤)
- ٤٨ — قال : — تعالى — ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّوهُمَا نَصْرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبٍ وَبَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصف / ١٣)
- ٤٩ — قال : — تعالى — ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ (القيامة / ٢٠)
- ٥٠ — قال : — تعالى — ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ (الإنسان / ٢٧)

٥١ - قال : - تعالى - ﴿ وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جِهَاهُ ﴾ (الفجر/٢٠)

ثانيا : مواضع الفك :

١ - قال : - تعالى - ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾
(آل عمران /٣١)

ورد معظم هذه المواضع في النازل بالمدينة ، فقد ورد اثنا عشر موضعا في النازل بمكة ، وورد ثلاثة وأربعون موضعا في النازل بالمدينة ، والسور على ترتيب التزول على هذا النحو (الفجر/١٠ - القيامة /٣١ - الأعراف /٣٩ - القصص/٤٩ - الأنعام/٥٥ - لقمان /٥٧ - الشورى/٦٢ - النحل/٧٠ - الروم/٨٤ - البقرة/٨٧ - الأنفال /٨٨ - آل عمران /٨٩ - الممتحنة /٩١ - النساء/٩٢ - الحديد /٩٤ - الإنسان /٩٨ - الحشر /١٠١ - النور /١٠٢ - الحج/١٠٣ - الحجرات /١٠٦ - الصف /١٠٩ - المائدة /١١٢ - التوبة/١١٣)

سياق (يحب) وأسرار الإدغام

إسناد الفعل المدغم إلى لفظ الجلالة إثباتا ونفيا وأسراره

ورد الفعل المدغم مسندا إلى لفظ الجلالة في خمسة وثلاثين موضعا ، مثبتا في خمسة عشر موضعا ، ومنفيا في عشرين موضعا ، والذي أبصره سرا للإدغام في مواضع إثباته — سبحانه — حبه لأصناف من المؤمنين ، هو التناسب مع لطف حبه وخفائه — سبحانه — لأولياته ، واللفظ يلائمه الإخفاء ، لا الإظهار ، وقد تأول العلماء حبه — سبحانه — لعباده بأنه يفعل بهم فعل المحب من الإكرام بالفضل والإحسان ، وقد أثبت — سبحانه — لنفسه أنه يحب هذه الأصناف (المتقين) آل عمران ٧٦/ ، التوبة ٤/ ، (الخسنيين) آل عمران ١٣٤/ ، ١٤٨/ ، المائدة ٩٣/ ، (الصابرين) آل عمران ١٤٦/ (المتوكلين) آل عمران ١٥٩/ (المقسطين) المائدة ٤٢/ ، الحجرات ٩/ ، الممتحنة ٨/ ، (وضميرا يعود على المؤمنين) المائدة ٥٤/ (المطهرين) التوبة ١٠٨/) الذين يقاتلون في سبيله صفا (الصف/٤ .

والملاحظ أنها وردت كلها في النازل بالمدينة ، وفي ذلك ملائمة للحال ، وفي إيقاع حب الله — سبحانه — على من اتصفوا بهذه الأوصاف حث على الاستمسك بها ، والاتصاف بها من كل مؤمن بيتغي

حب الله ؛ لأن النجاة في حب الله لعبده ، لا في حب العبد لله ، وقد وردت هذه المواضع في سياقات تتظاهر على الترغيب في الخيرات .

وقد ورد الفعل مدغما منفيا في عشرين موضعا مسندا إلى الله — عز و علا — وأحسب أن في ورود الفعل مدغما في هذه المواضع إلماعا إلى انتفاء حبه — سبحانه — لمن اتصف بالأوصاف المذكورة على أبلغ وجه؛ ذاك أن الإدغام هنا يعني أدنى وجوه الحب ، ونفي أدنى الوجوه يتبعه نفي ما فوقها ، وكل هذا مما يلائمه الإدغام ، لا الفك ، وقد نفى الله — سبحانه — حبه بأبلغ وجه عن (الكافرين) آل عمران ٣٢/ الروم ٤٥/ (الظالمين) آل عمران ٥٧/ ، ١٤٠ ، الشورى ٤٠/ (المختال الفخور) النساء/٣٦ ، لقمان /١٨ ، الحديد /٢٣ (الخوان الأثيم) النساء /١٠٧ (الجهنم بالسوء) النساء/١٤٨ (المفسدين) المائدة/٦٤ ، القصص/٧٧ (المعتدين) المائدة /٨٧ ، الأعراف /٥٥ (المسرفين) الأنعام/١٤١ الأعراف /٣١ (الخائنين) النساء/٥٨ (المستكبرين) النحل/٢٣ (كل خوان كفور) الحج/٣٨ (الفرحين) القصص/٧٦ .

وكل هذه الأوصاف غاية في القبح ، وقد نفى — سبحانه — حبه لهذه الأصناف على الوجه الأبلغ فيه ترهيب من ارتكاب هذه الأوصاف ، كما أن فيه إلهابا للإقلاع عنها ، فالإتصاف بها مليح بأنهم

لن ينالوا ولا أدنى وجه من الكرم والإحسان ، وقد ورد من هذه
المواضع تسعة في النازل بمكة ، وأحد عشر في النازل بالمدينة ، وقد جاء
كل ذلك في سياقات تتظاهر على الترهيب ، فجاء كل مطابقا مقامه
ملائما حاله .

إسناد حب الله للمؤمنين وأسرار الإدغام

ورد ذلك في موضعين (آل عمران / ٣١) وقد ورد في أسلوب شرط أداته (إن) الدالة على قلة حصول مدخولها (إن كنتم تحبون الله) ويتلاءم مع التعبير بـ(إن) الإدغام الدال على الوجه الأدنى ، لا الإظهار كما أن مخاطبتهم بهذا الأسلوب من التشكيك في حبهم لله يلائم ما كان عليه الحال من تصرفات بعضهم مما يتنافى مع حب الله ، كما يدل عليه السياق ، فقد ورد قبل الآية محل الفعل النهي عن اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء من دون الله ، وأن الله سيطلع على من يفعل ذلك (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه . . .) (آل عمران/ ٢٩)

فقد جاء الإدغام في سياق أسلوب الشرط بـ (إن) ملائماً لسياقي الحال والمقال ، وقد جاء الموضع الآخر في سورة المائدة مقترناً بموضع آخر (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقد جاء مدغماً شبهها بجارها ، واتساقاً مع وعيد الله من يرتد عن دينه ، أي : أن أدنى حب منهم لله سيكون مقابله حب الله لهم ، ولا كهذا التركيب في الذكر الحكيم ، وقد قدم حب الله لهم على حبهم له تناسباً مع أسلوب التهديد بانجى بمن هو أفضل منهم بعد إهلاكهم .

البقرة/١٦٥ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن المشركين وعبادتهم الأنداد ، وقد ورد الفعل في سياق أسلوب تشبيه، حيث شبه حبهم الأنداد من دون الله بحب الله ، وهو يكون بأن يفعلوا معهم من الطاعة والتعظيم فعل الحب كما يفعل من ذلك مع الله.

ولعل في التعبير بالفعل مدغما ؛إشارة إلى أن مثل هذا الحب ينبغي أن يخفى ولا يظهر، وأن يتلاشى وألا يتواجد ، على أية حال ، فالذي أبصره أن الإدغام جاء دالا على خفاء هذا الحب .

البقرة / ٢١٦ : وقع الفعل المدغم مقابل ضده (تكرهوا) وقد جاء مدغما تناسبا مع المفعول به (شيئا) فإنه نكر للتقليل ، فتناسب أن يكون فعله مدغما للتعبير عن أدنى وجوه الحب ، كما جاء كذلك إشارة إلى تقليل حصول ذلك ، وأن النفس التي هي على الفطرة الصحيحة قلما أحبت شيئا ، ولم يكن فيه خير ، وقلما كرهت شيئا ولم يكن فيه شر، كما أن في التعبير بالفعل مدغما تناسبا مع وقوع الفعل في حيز عسى الدالة على التوقع .

آل عمران / ٩٢ : ورد الفعل المدغم في سياق الحث على الإنفاق من خير المال الذي له بالقلب اعتلاق ، وليس من أي مال ،وقد

جاء الفعل مدغما إشارة إلى أن نيل البر لا يدرك إلا بالإنفاق مما كان له في خفي القلب مكان ، والإدغام إخفاء يناسب التعبير عن مثل ذلك؛ لذا جاء الفعل مدغما ، ولم يأت مظهرا ؛ لأن المراد تعميق العلاقة والإخلاص بين العبد والرب باتخاذ الإنفاق سبيلا لذلك، فأريد لهذا السبيل أن يكون مما يخفى أمر حبه ، ولا يظهر .

آل عمران / ١١٩ : ورد الفعل مدغما مرتين في الآية الكريمة الأولى بالإثبات والمسند إليه المؤمنون ، والثانية بالنفي ، والمسند إليه المنافقون ، وقد جاء في طرف المؤمنين مدغما إشارة إلى أنه أدنى وجه للحب ، لأن من يحبونهم ليسوا ممن يحبهم الله ، وقد جاء مدغما في حال النفي ؛ إشارة إلى انتفاء حب المنافقين للمؤمنين ولو على أدنى وجه ، وهو الملائم لسياق الحال .

وسياق المقال السابق واللاحق على الآية محل الفعل (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) (آل عمران / ١١٨) وبعد الفعل (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) (آل عمران / ١١٩) وفي ذلك حمل للمؤمنين على ترك حبهم لهؤلاء حتى لو كان على الوجه الأدنى فإنه لا ينبغي أن يكون .

آل عمران / ١٥٢ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن غزوة أحد ، وقد جاء مدغماً إشارة إلى أن تصرفاتهم في الانصراف إلى الغنائم ، وتركهم أمر رسول الله ﷺ - تعني أن النصر عندهم كان له الوجه الأدنى من الحب ؛ لذا وارى هذا الحب رؤية الغنائم ، فعبر بالفعل مدغماً تناسبا مع سياق المعاتبة .

آل عمران / ١٨٨ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن اليهود ، وأنهم يحبون الحمد على غير فعل، وفي التعبير بالفعل مدغماً إشارة إلى خفاء هذا الحب وكنمائه ، وبيان أنه من الطباع الخسيسة عند اليهود التي يريدون إخفاءها ، ففي النظر إلى متعلق الفعل (أن يحمدا بما لم يفعلوا) باب لفقه سر الإدغام على النحو الذي ذكرته .

الأعراف / ٧٩ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن ثمود قوم صالح بعد عصوا أمر ربهم في الناقة ، وقد جاء الفعل منفياً والمسند إليه قوم صالح ، وفي التعبير بالفعل مدغماً إشارة إلى انتفاء قبولهم للنصح، ولو على الوجه الأدنى ، وفي ذلك ملائمة للحال ، فقد كانوا كذلك ، كما أن فيه ملائمة لسياق المقال ، فقد أخبر عنهم قبل الآية محل الفعل (فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح اتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين) (الأعراف / ٧٧) .

النور/١٩ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن حادثة

الإفك ، وقد وقع فيه من وقع من الصحابة ، لكن الآية محل الفعل قصدت المنافقين بالحديث ، وفي النظر إلى المفعول به (أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) باب لفته سر الإدغام ، والذي أبصره أن التعبير بالفعل مدغما تناسب مع خفاء هذا الحب وتواريه واستتاره ، وفي تواريه واستتاره تناسب مع الحال فلقد كانت شوكة الإسلام قوية ، يهاب المنافقون إظهار حب من هذا النوع ، فجاء الفعل مدغما دلالة على خفاء هذا الحب ، وعدم إظهاره .

النور/٢٢ : ورد الفعل المدغم في سياق الفعل السابق ، غير أنه

جاء هنا ضمن خطاب موجه للمؤمنين للعفو والصفح عمن وقع في هذا الحديث ، وقد ذكروا أنها نزلت في أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — وكان قد حلف ألا ينفق على مسطح بن أثاثه لأنه كان ممن وقع في الإثم، فنزلت (١) فما كان من أبي بكر إلا أن قال : بلى والله إنا لنحب أن يغفر الله لنا .

وحسبنا أن سيدنا أبا بكر من أولي الفضل بشهادة الله — عز

وعلا — والذي أبصره أن في التعبير بالفعل مدغما إلهابا وحثا على سرعة العفو ، وذلك أن المراد بالاستفهام التعجب أي كأنكم تنصرفون

(١) ينظر : نظم الدرر ٥/٢٤٨ .

تصرف من لا عنده الحد الأدنى من حب مغفرة الله، وفي ذلك من الإلهاب على العفو ما فيه .

الحجرات/١٢ : ورد الفعل المدغم في سياق النهي عن التجسس والغيبة ، وتشيع ذلك ، يجعل الحديث في حق المؤمن كأكل لحمه ميتا، وهي صورة تشبيهية لم ترد في غير هذا الموضع في الذكر الحكيم ، وقد جاء الفعل مدغما إشارة إلى أن أي أحد من الناس لم يكن له أن يحب أكل لحم أخيه ميتا ولا على أدنى وجه تناسبا مع بشاعة المستفهم عنه .

الحشر/٩ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن الأنصار وحبهم المهاجرين ، وأحسب أن في التعبير بالفعل مدغما إشارة إلى سكونه في أعماق قلوبهم ، وكونه في الأعماق يلائمه الإدغام ، لا الإظهار، هذا ما استطعت إبطاره .

الصف/٤ : ورد الفعل المدغم في سياق خطاب المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله صفا ، وقد ورد الفعل في سياق أسلوب بني الإجمال ثم التفصيل ، فإن قوله (وأخرى تحبونها) يفصله قوله بعده (نصر من الله وفتح وقريب)

والمناسب لأسلوب الإجمال ثم التفصيل التعبير بالإدغام تناسباً
مع ما يرد بعده من التفصيل ، وربما يشير الإدغام إلى ارتكاز حبهـم
النصر في أعماقهم ، وهو مما يناسبه الإدغام الدال على الإخفاء ، لا
الفك الدال على الإظهار .

القيامة/ ٢٠ ، الإنسان/ ٢٧ : ورد الفعل المدغم في الموضعين في
سياق الحديث عن حب الدنيا ، والذي أبصره أن في التعبير بالفعل
مدغماً إشارة إلى وجوب إخفاء ذلك الحب تناسباً مع المفعول به، فقد
اصطفى من أوصاف الدنيا (العاجلة) فينبغي أن يكون حبها عاجلاً
أيضاً يصطفى منه أدنى الوجوه .

الفجر/ ٢٠ : ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن ذم
الإنسان الذي يغضب ربه ، وقد سبقت الآية محل الفعل بالحديث عن
ذمهم بأوصاف تتصل بالمال (كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون
على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلاً لما) (الفجر/ ١٧: ١٩)

وهذا يعني أن حب المال متمكن في أعماق قلبه ، وهو منه في
العمق ، وأحسب أن الفعل المدغم هو الأنسب للتعبير عن عمق هذا
الحب ، الذي أكد عليه المفعول المطلق ووصفه (حبا جما) .

سياق (يحب) وأسرار الفك

آل عمران / ٣١ : ورد ذلك في موضع واحد من الذكر الحكيم، وقد تميز هذا الموقع بوقوع الفعل المفكوك (اتبعوني) جواب طلب ، وقد وقع جواب الطلب هذا جواب شرط (إن كنتم تحبون الله) ولم يرد مثل هذا الموقع في الذكر الحكيم ، وكأن في التعبير بالفعل مفكوكا إلهابا وحثا على اتباع الرسول — ﷺ — الذي هو دليل على حب العبد لله ، وأن حب الله للعبد حينئذ سيكون أظهر وأقوى من حب العبد له .

وفي ذلك من الحث على اتباع الرسول — ﷺ — ما فيه، ومعلوم أن محبة الله للعبد قبول أعماله ^(١) وقد أشار البقاعي — رحمه الله — إلى دلالة الفك فقال : " (يحببكم الله) أي : الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى حبا ظهرت له أماراته بما أعلم به الفك ، فإن الأمر المنجى غاية النجاة ، إنما هو محبة الله — سبحانه وتعالى — للعبد لا محبة العبد لله " ^(٢)

(١) ينظر : حاشية الصاوي على الجلالين ١/١٤٠ .

(٢) نظم الدرر ٢/٦٣ .

الفصل الثاني

أسرار تنوع الأفعال بإدغام المتماثلين بالإبدال وفكهما في الذكر الحكيم يزكى — يتركى

ورد الفعل بصيغة المضارع مدغما في موضعين من الذكر الحكيم،
وورد مفكوكا في موضعين :

أولا : مواضع الإدغام :

- ١ — قال : — تعالى — ﴿ وما يدريك لعله يزكى ﴾ (عبس / ٣)
- ٢ — قال : — تعالى — ﴿ وما عليك ألا يزكى ﴾ (عبس / ٧)

ثانيا : مواضع الفك :

- ١ — قال : — تعالى — ﴿ ومن تركى فإنما يتركى لنفسه وإلى الله المصير ﴾
(فاطر / ١٨)
- ٢ — قال : — تعالى — ﴿ وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى ﴾
(الليل / ١٧، ١٨)

تتفق هذه المواضع في أنها وردت كلها في سور مكية ، وهي على ترتيب النزول (الليل / ٩ — عبس / ٢٤ — فاطر / ٤٣) كما تتفق هذه المواضع في أن التزكية لها معنى عام واحد فيها كلها ، وهو التطهر من دنس المعاصي ، كما أنها تتفق في الميزان الصرفي ، وبقي أن منها ما جاء مدغما ، وهو ميل إلى التخفيف ، وتخلص من الثقل كما قرر العلماء ، ومنها ما جاء مفكوكا ، وهو ميل إلى الثقل ، ولا سبيل لنا إلى فقه ذلك سوى تأمل السياق .

سياق (يزكى) وأسرار الإدغام

عبس / ٧،٣ : وقع موضعا الإدغام في سورة عبس ، وقد نزلت عبس عتابا — ﴿ وَاللَّهُ يَذُرُّ الْحَبَّ وَالذُّرِّيَّةَ عَلَى الْكَافِرِ ﴾ — في ابن أم مكتوم ، وقد وقعت الصيغة الأولى فيه — ﴿ وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ﴾ والمعنى : يتطهر من الذنوب بما يسمع منك ، ووقعت الثانية في الكفار ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي ﴾ والمعنى : يؤمن ، وسياق العتاب يلائمه التخفيف الذي هو علة كافية وراء الإدغام في الغالب الأعم .

والفك هنا لا يلائم ؛ لأن فيه زيادة تنديم له — ﴿ وَاللَّهُ يَذُرُّ الْحَبَّ وَالذُّرِّيَّةَ عَلَى الْكَافِرِ ﴾ — وهو مما لا يلائم السياق ؛ ذاك بالنظر إلى تراكيب السورة وصيغها ، ألا تراه افتتحها بقوله ﴿ عَبْسٌ وَتَوَلَّى ﴾ (عبس / ١) فلم يجابه بالخطاب ، وكان الظاهر أن يقال : عبست وتوليت أن جاءك الأعمى ، لكنه جاء بضمير الغيبة إجلالا له — ﴿ وَاللَّهُ يَذُرُّ الْحَبَّ وَالذُّرِّيَّةَ عَلَى الْكَافِرِ ﴾ — عن المواجهة بمثل هذا العتاب ، كما أشار إليه

البقاعي (١) وحينما نبصر سياق السورة نرى أنه جار على التخفيف (يذّكر — تصدّى — تلهّى) وكان يمكن أن يقال يتذكر — تتصدى — تتلهّى ، لكنه أدغم في الأول تخفيفا ، وحذف في الثاني تخفيفا، وقد ذكر البقاعي أن " حذف تاء الفعل منهما إشارة إلى أن ذلك كله كان على وجه خفيف كما هي عادة العقلاء " (٢)

لذلك قال البقاعي — كاشفا عن مناسبة قوله — تعالى — ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ لما قبله — " ولما عرف بسياق الغيبة ما أريد من الإجلال ، وكان طول الإعراض موجبا للانقباض أقبل عليه — ﷺ — فقال: (وما يدريك . . .) . . . (يزكى) أي : يكون بحيث يرجى تطهره ، ونحو أحواله الصالحة بما يسمع منك، ولو على أدنى الوجوه بما يشير إليه إدغام تاء الافتعال " (٣) وهي كلمة نفيسة تكشف عن ملاءمة الصيغة للمقام ؛ ذاك أن ابن مکتوم كان مؤمنا وقتها ، وتوقع التزكي منه أقوى، وحين يقوى توقع التزكي يكون الإقبال أولى من الإعراض ، وهو ما يدل عليه أسلوب الترجي ، وقد خرجت لعل هنا "من توقع المتكلم إلى توقع المخاطب إحداثا للشك فيه " (٤) وفيه إشارة إلى أن مجرد رجاء مثله

(١) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٢٤/٨ .

(٢) نظم الدرر ٣٢٤/٨ .

(٣) نظم الدرر ٣٢٤/٨ .

(٤) الترجي في آي من الذكر الحكيم ٤٦ ، د/ إبراهيم صلاح الهدهد ، مستل من حولى كلية اللغة العربية — القاهرة العدد الخامس عشر ١٤١٧هـ .

كاف في امتناع الإعراض " (١) وفيه تنبيه على أن الإعراض عنه عند كونه مرجو التركي مما لا يجوز ، فكيف إذا كان مقطوعا بالتركي " (٢)
وقد ذكر أبو السعود أن " كلمة لعل مع تحقق التركي واردة على سنن الكبرياء " (٣) أي : تكون لعل للمتكلم ، لا للمخاطب ، ويكون في استخدامها إجراء للإطماع مجرى الأمر المحتوم في أن الملوك تكفي منهم الإشارة والتلميح في إنجاز وعودهم ، ويمكن أن يكون الترجي " راجعا إلى ابن أم مكتوم ، لا إلى النبي ﷺ — وهو غير مناسب للسياق " (٤)

والذي يعنينا من كل هذا أن الفعل المدغم قد وقع في حيز لعل، الموضوعة للتوقع أصلا، والتوقع تخفيف في العتاب يلائمه التخفيف في الخطاب ، ولا يعقل أن يلائمه التثقيب الدال على الاجتهاد في الأمر والمبالغة فيه ، ففي التعبير بالفك هنا تنافر مع سياق المعاتبة .
ويؤيده أن ما عبر به في جنب الكفار ورد على سنن ما جاء في جنب أم مكتوم من التخفيف ، فهم لا يتوقع منهم أدنى وجه من التركي؛ لذا قال : ﴿ وما عليك ألا يزكى ﴾ ولم يقل : وما عليك ألا يتزكى ؛ لأنه هو الملائم للمقام ، فلم يكن — ﷺ — مشغولا بدعوته إلى الاجتهاد

(١) الفتوحات الإلهية للشيخ الجمل ٤/ ٤٨٧ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/ ٤٧٧ .

(٣) السابق ٥/ ٤٧٧ .

(٤) ينظر : الشهاب على البيضاوي ٨/ ٣٢١ .

في التزكي ، والمبالغة في ذلك ، وإنما كان مشغولا بهدايته ، وهو أدنى الوجوه في تركية النفس بملاءمة لحال المخاطب ، فلاءمه التخفيف المناسب له الإدغام .

وللبقاعي إشارة لطيفة أبصرها بالنظر إلى السورة مع جارتها (النازعات) في خطاب موسى — ~~عليه السلام~~ — لفرعون — لعنه الله — حيث أمره ربنا أن يطلب منه التزكي ولو على أدنى الوجوه ﴿ فقل هل لك إلى أن تزكى ﴾ (النازعات / ١٨) فبناه على التخفيف ، ولم يقل: تنزكى؛ تلاؤما مع المقام حيث قال هناك " (إلى أن تزكى) أي : تتخلى بالفضائل ، وتطهر من الرذائل ، ولو بأدنى أنواع التزكي . . . وإفهام الأدنى بما يشير إليه إسقاط تاء الفعل المقتضي للتخفيف " (١)

(١) نظم الدرر ٣١٤/٨ .

سياق (يتزكى) وأسرار الفك

فاطر/ ١٨ : في السياق المقالي جواب لسر الفك ، فقد ورد الفعل (يتزكى) في سياق الحديث عن يخشون ربهم بالغيب ﴿ إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ﴾ والذي يخشى ربه إنما يجتهد في تطهير النفس ؛ لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، ولا نظير في الذكر الحكيم لقوله : — تعالى — ﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ فالاجتهاد في تركية النفس فرار بها إلى السلامة من ثقل الأوزار ، وفي هذا الاجتهاد ثقل يلئم التعبير عنه صيغة الافتعال بالفك لا بالإدغام .

وقد وقعت الصيغة في جملة إما أن تكون اعتراضا مؤكدا لخشيته ، وإقامتهم الصلاة ؛ لأنها من جملة التزكي ، كما ذكر النخشي (١) وإما أن تكون تذييلا جاريا مجرى المثل كما ذكر ابن عاشور (٢) وهذا يعني ارتباط الجملة بما قبلها ارتباطا وثيقا.

(١) ينظر الكشف ٢٧٣/٣ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٩١/٢٢ .

والجمهور على أن معنى (يتزكى) : يتطهر من دنس المعاصي
(^١) وفي الجلالين ، المعنى : يتطهر من الشرك (^٢) لكن الأظهر ما عليه
الجمهور ، ولو كان المراد ما قاله الجلال لكان المناسب أن يقال : ومن
تزكى فإنما يزكى بالإدغام كما سلف بيانه فالأوصاف المذكورة
للمخاطبين بالأسلوب : خشية الله بالغيب ، إقامة الصلاة ، وهما من
صفات المتقين ، كما صرح به في صدر سورة البقرة .

وفي سورة فاطر حديث متناثر عن أوصاف المخاطبين بأسلوب
الفك ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ﴾ (فاطر / ٢٩) ﴿ ثم أورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا . . . ﴾ (فاطر / الآيات ٣٢: ٣٥) .
هذا ، وقد تحدث البقاعي عن ملاءمة صيغة التفعّل للسياق في قوله (
تزكى) وقد ذكرنا أن الوزن الصرفي واحد حائي الفك والإدغام في (
يزكى ، ويتزكى) ولكن ما من ريب في أن مجيئ الفعل مفكوكا أثقل من
مجئيته مدغما ، فالفك دال على المبالغة في الاجتهاد في تخلص النفس من
دنس المعاصي ، والتكثير من الخاسن ؛ تحلية بعد التخلية .

قال البقاعي : " ولما كان التقدير : فمن كان على غير ذلك
تدسى { أي : غوي وفسد } ومن كان على هذا فقد تزكى ، ومن
تدسى فإنما يتدسى على نفسه ، عطف عليه قوله = مشبرا بأداة التفعّل

(^١) ينظر الكشاف ٣/٢٧٣ ، أنوار التنزيل ٧/٢٢٢ ، نظم الدرر ٣/٢٩١ .

(^٢) تفسير الجلالين ٦/٢١٦ .

إلى أن النفس أميل شئ إلى الدنس ، فلا تنقاد إلى أحسن تقويم إلا
باجتهاد عظيم = (ومن تركي) أي : تطهر ، وتكثر بهذه الخاسن ^(١)
الليل / ١٨ : سورة الليل مما نزل من القرآن الكريم بحكمة ،
وذلك أوان الترغيب في الإسلام ؛ وإعلاء كل خير يقدمه المسلم ، وقد
ذكروا أن الآيات نزلت في أبي بكر الصديق — ﷺ — حين اشترى
بلالا في جماعة تولاهم المشركون فأعتقهم ؛ ولذلك قيل : المراد بالأشقي
أبو جهل ، أو أمية بن خلف ، وقد ذكروا أن أمية بن خلف — وكان
بلال تحت يده — قد غالى في ثمن بلال جدا .

وكان أبو بكر قد أعتق قبله ست رقاب ، ومع ذلك أعتق بلالا
على الرغم من مغالاة أمية ابن أبي خلف ^(٢) ومثل هذا العمل يعبر عنه بما
يدل على الاجتهاد في تركية النفس من الصيغ ، ففي التعبير —
(يتزكى) مفكوكا ثقل يلائم حال اجتهاد أبي بكر — ﷺ — ومن سار
سيره على مر الزمان — في تركية النفس ، لاسيما بالمال الذي هو مقدم
على حب الولد كما جاء في الذكر الحكيم ﴿ المال والبنون زينة الحياة
الدنيا . . . ﴾ (الكهف / ٤٦)

(١) نظم الدرر ٢١٦/٦ .

(٢) ينظر أنوار التنزيل ٣٦٩/٨ والشهاب عليه ، الجلالين ٣٠٨/٤ ، والصاوي عليه

٣٠٩، ٣٠٨/٤ .

كما أن في التعبير بالصيغة التي يمال بها إلى الثقل فوق ملاءمة الحال ملاءمة للسياق المقالي أيضا ، ألا تبصر أنها جاءت في حيز أفعال التفضيل ﴿وسيجنبها الأتقى﴾ (الليل / ١٧) فقله : (يتزكى) إما بدل من يؤتى داخل في حكم الصلة ، أو في حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتى^(١) وعلى كل فالموصول (الذي) صفة لأفعل التفضيل ، ويؤيد ذلك أيضا بناء سورة الليل على أسلوب المقابلة ، فقد وقع (الأتقى) مقابلا (الأشقى) وقد بولغ في وصف الأشقى ، ألا تراه قد قال : ﴿الذي كذب وتولى﴾

ولا يعكر على ما استبطناه من أن الفك ميل إلى التثقيب ؛ ملاءمة لحال اجتهد أبي بكر ، ومن على شاكلته في كل زمان في تركية النفس ، وملاءمة للسياق ، لا يعكر عليه أنه حذف التاء في قوله : ﴿فأنذرتكم نارا تلظى﴾ (الليل / ١٤) لأن حذف التاء هنا أنسب ، حيث يدل حذف التاء على أنها تنقد بسهولة ويسر من غير كلفة ولا مشقة.

قال البقاعي : " (تلظى) أي : تنقد وتلهب ؛ تلهبا هو في غاية الشدة من غير كلفة فيه على موقدها أصلا ، ولا أحد من خزنتها ، بما أشار إليه إسقاط التاء " (٢) فقد جاء كل ملانما سياقه مطابقا حاله .

(١) ينظر إرشاد العقل السليم ٥/ ٥٤١ ، أنوار التنزيل ٨/ ٣٦٩ ، الصاوي على الجلالين

٤ / ٣٠٨ .

(٢) نظم الدرر ٨ / ٤٤٩ .

يضرعون — يتضرعون

ورد الفعل بصيغة المضارع مدغما في موضع واحد ، وورد

مفكوكا في موضعين :

أولا : مواضع الإدغام :

١ — قال : — تعالى — ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها
بالأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ (الأعراف / ٩٤)

ثانيا : مواضع الفك :

١ — قال : — تعالى — ﴿ ولقد أرسلنا على أمم من قبلك فأخذناهم
بالأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ (الأنعام م ٤٢)

٢ — قال : تعالى — ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما
يتضرعون ﴾ (المؤمنون / ٧٦)

سياق (يضرعون) وأسرار الإدغام

الأعراف / ٩٤ : ورد الفعل مدغما في سورة الأعراف ، وقد نزلت

سورة الأعراف قبل سورتي الأنعام والمؤمنون ، على هذا الترتيب (

الأعراف/٣٩ — الأنعام/٥٥ — والمؤمنون/٧٤) وتتفق السور الثلاثة

عموما في اشتماهن على أحوال السابقين ، وسورة الأعراف هي أوسع

السورتين حديثا عن قصص النبيين، تليها المؤمنون ، ثم تأتي الأنعام ، كما

أن المواضع الثلاثة تتفق في أن الفعل مفكوكا ومدغما وقع بعد الأخذ بالعذاب .

وقد فصل الآخذ في الأعراف والأنعام (البأساء والضراء) وأجمل في (المؤمنون) (العذاب) وهذا التشابه الكبير في السور الثلاث في اشتماهن على قصص النبيين يدل عليه مثل هذا التركيب المتقارب في السور الثلاث ، والسؤال هو : لماذا اختصت سورة الأعراف بالإدغام، واختصت السورتان الأخريان بالفك ، والإدغام ميل إلى التخفيف، وربما يكون وراء نزول الأعراف أولا تفسير لذلك ملائمة للحال .

وقد ذكر السلف علة لجئى ما في الأعراف على الإدغام ، فقد ذكر الغرناطي وغيره الفرق بين (يضرعون و يتضرعون) وهو " أن ذلك راجع لعل مجاورة الألفاظ، فإنه لما قال في الأنعام (يتضرعون) راعى مناسبة الجوار في الآية التي تليها ﴿ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ﴾ (الأنعام / ٤٣) ولما لم يكن هذا في الأعراف وقع الفعل على الوجه الأخف " (١)

ويمكنني أن أضيف إلى ما ذكر أن المدغم من صيغ الأفعال ، في سورة الأعراف أكثر من المفكوك ، كما أن محذوف التاء في تفعلون هو الأكثر ، فقد ورد في السورة (يذكرون) مرتين في الآيات (٢٦ ، ١٣٠) ولم يقع مفكوكا، ووقع (يمدونهم) مرة واحدة (الآية / ٢٠٢) و (يطيروا) مرة واحدة (الآية / ١٣١) ويجب ثلاث مرات

(١) ملاك التأويل للغرناطي ١/٤٥٥، ٤٥٦ ، البرهان للكرماي ٦٩ .

(الآيات / ٣١، ٥٥ ، ٧٩) ويمس مرة واحدة (الآية/٧٣) ويضل مرة واحدة (الآية / ١٥٥) وجاء مفكوكا في موضعين (١٧٨، ١٨٦) ونقص ثلاث مرات (٣٥، ٧ ، ١٠١) ومقابله المفكوك مرة واحدة (الآية / ١٧٦) ووقع (تذكرون) محذوف التاء في موضعين (٥٧، ٢) في حين نرى صيغتين أخريين ذكرت فيهما التاء (يتطهرون) (٨٢) و(يتكبرون) (١٤٦) فكان سورة الأعراف تتجه نحو التخفيف .

ولذلك علة ذكرها البقاعي ، فقد أبصر أن الإدغام في (يضرعون) يلائم مقصود السورة ، وهو الإنذار الذي أجمله مطلعها ، والإنذار يلائمه أدنى الوجوه في الارتداع والاعتاظ ، ومن كلمته تلك أبصرت ما ذكرته من حصر للصيغ يؤكد ما أبصره ، وهذا نصه " (لعلهم يضرعون) أي : ليكون حالهم عند المساءة حال من يرجى تضرعه ، وتذللته وتخضعه لمن لا يكشف ذلك عن غيره، ولو كان التضرع في أدنى المراتب على ما أشار إليه الإدغام ؛ لأن ذلك كاف في الإنقاذ من عذاب الإنذار الذي هذه سورته بخلاف ما مضى في الأنعام " (١) ففي الإدغام ملاءمة لمقصد السورة ، وتأييد ما ذكره بما أبصرناه من جريان أغلب السورة على وجه التخفيف .

(١) نظم الدرر ٧٣/٣ .

سياق (يتضرعون) وأسرار الفك

الأنعام / ٤٢ : اهتدى البقاعي — رحمه الله — إلى الكشف عن سر الفك، حيث أبصر أن الفك ملائم مقصود السورة ، وتراكيب السورة تتظاهر على بيان مقصودها الذي هو التوحيد ، أما سورة الأعراف، فتتظاهر تراكيبها على بيان مقصودها ، وهو الإنذار ، قال البقاعي: " (لعلهم يتضرعون) أي : ليكون حالهم حال من يرجى خضوعه وتذلل على وجه بليغ ، بما يرشد إليه — مع صيغة التفعيل — الإظهار، ولأن مقصودها الاستدلال على التوحيد ، وعند الكشف للأصول ينبغي الإبلاغ في العبادة بخلاف ما يأتي في الأعراف " (١) ويؤيده السياق المقالي القريب من الآية

وقد سبقت الآية بآيتين تحدثنا عن مجيئ عذاب الله ، وأن الناس وقتها يجتهدون في اللجوء إلى الله — عز وعلا — ﴿ قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ﴾ (الأنعام / ٤٠، ٤١) وجاء بعدها قوله : ﴿ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ (الأنعام / ٤٣) ويؤيده توجه تراكيب السورة نحو إثبات التوحيد والاجتهاد في ذلك ؛ لذا اختصت السورة الكريمة بالحديث عن محاجة إبراهيم — عليه السلام — قومه في إبطال شركائهم في الآيات (٨١: ٧١) وغير ذلك من التراكيب التي

(١) نظم الدرر ٧٣/٣ .

وردت في السورة ، ولم ترد في سواها ، ويمكن الاستئناس بان ما ورد في السورة من صيغ الفك ، وحذف تاء التفعّل أكثر من الإدغام في السورة الكريمة .

فقد وردت (يمسسك) مرتين (الآية / ١٨) وجاء مقابلها مدغما في موضع واحد (الآية / ٤٨) وورد (يضلله) مرة واحدة (الآية / ٣٩) قوبلت بأخرى مدغمة مرة واحدة (الآية / ١٤٤) ووردت (تتفكرون) مرة واحدة (الآية / ٨٠) دون مقابل، ووردت (تذكرون) مرة واحدة قوبلت بـ (تذكرون) مرة واحدة (الآية / ١٥٢) كما وردت بعض الصيغ مدغمة لم تقابل بالفك ، ووردت صيغ محذوفة التاء مع الفك خمس مرات، مقابل أربع صيغ بحذف التاء والإدغام . وربما يكون في التعبير بالفك تناسب مع تركيب الآية الكريمة من افتتاحها باللام الموطئة للقسم، وفي أسلوب القسم من تعظيم ما بعده ما فيه ، كما عطف الأخذ بالفاء الدالة على شدة الغضب وقوة الأخذ، اللازم منه الاجتهاد في التصرع ، ولم تذكر الفاء في الأخذ في الأعراف، وقد ذكر الصاوي أنه " إنما قرئ بالفك في الأنعام لأجل مناسبة الماضي في قوله : (تصرعوا) بخلاف ما هنا " (١) يقصد ما في الأعراف .

(١) حاشية الصاوي على الجلالين ٨٢/٢ .

المؤمنون / ٧٦ : يتناغم الفك هنا مع مقصود السورة الكريمة،

وهو " اختصاص المؤمنين بالفلاح " (١) والفلاح يقتضي الاجتهاد في التضرع ، على عكس من فعل بهم ما فعل من العذاب ، وشدة الأخذ بما كان الأصل معه أن يلجئهم إلى الاجتهاد في التضرع ؛ فضلا عن التضرع، وقد تأول العلماء يتضرعون بقولهم : يجددون الدعاء بالخضوع والذل والخشوع في كل وقت بحيث يكون لهم عادة (٢)

وهذا التأويل مناسب للفك الذي تأولناه بأنه اجتهاد في التضرع هذا ، وليس نفي الاجتهاد في التضرع عنهم مثبت لما هو دونه ، ولكنه تنبيه بانتفاء الأعلى على انتفاء الأدنى ، وإنما جاء بالفك ؛ لأنه أنسب للسياق .

ألا تبصر أنه قد جاء بعدها : قوله — تعالى — ﴿حتى إذا فتحننا

عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون﴾ (المؤمنون / ٧٧) وسبقت بقوله : ﴿ولو رحمناهم كشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ (

المؤمنون / ٧٥) كما اختص سياق الفك هنا بمثل قوله : — تعالى — ﴿حتى

إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم إنكم منا لا

تنصرون﴾ (المؤمنون / ٦٤، ٦٥) مما يدل على شدة الأخذ المرجو معه

إلجاؤهم إلى الاجتهاد في التضرع ، ولو جاء بالصيغة مدغمة لما ناسب

السياق ، وقد أشار إلى ذلك العلامة أحمد في مناقشته دلالة (استكانوا) وقد

انتهى إلى أن استكان بمعنى فعل ، وأن المعنى يأتي أن تكون (استكانوا) من

(١) نظم الدرر ١٨٢/٥ .

(٢) ينظر نظم الدرر ٢١٥/٥ ، السراج المنير للخطيب الشريفي ٥٨٧/٢ .

استفعل المبني للمبالغة "وذلك أنها جاءت في النفي والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة، وعدم الخضوع مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب ، فلو ذهبت إلى جعلها للمبالغة أفادت نقص المبالغة ؛ لأن نفي الأبلغ أدنى من نفي الأدنى، وكأنهم على ذلك ذموا بنفي الخضوع الكثير، وأنهم ما بلغوا في الضراعة نهايتها، وليس الواقع كذلك فإنهم ما اتسموا بالضراعة، ولا بلمظة منها ، فكيف تنفى عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية" (١) والأعلى أنه يمكن أن تكون للمبالغة؛ تنبيها بنفي الأعلى على نفي الأدنى، كما أسلفت، وله شواهد في الذكر الحكيم ، والخلاصة أن الفلك جاء مناسبا سياقه ملائما مقامه .

(١) الانتصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال ٥٣/٣ .

يدبروا — يتدبروا

ورد هذا الفعل بصيغة المضارع مدغما مرتين ومفكوكا مرتين :

أولا : مواضع الإدغام :

١ — قال : — تعالى — ﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم

الأولين﴾ (المؤمنون / ٦٨)

٢ — قال : — تعالى — ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته

وليتذكر أولو الألباب﴾ (ص / ٢٩)

ثانيا : مواضع الفك :

١ — قال : — تعالى — ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله

لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (النساء / ٨٢)

٢ — قال : — تعالى — ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾

(محمد / ٢٤)

من اللافت للنظر أن صيغتي الإدغام وردتا في سورتين مكيّتين ،

وصيغتي الإدغام في سورتين مدنيّتين ، وهن على على ترتيب التزول

(ص/٣٨ — المؤمنون / ٧٤ — النساء / ٩٢ — محمد / ٩٥) وكأن ورود

صيغتي الإدغام في النازل بمكة مليح إلى أن المقصود الوجه الأدنى من التدبر

تلاؤما مع حال التزول في المراحل الأولى من الدعوة ، ويقاس على ذلك كل أرض جديدة للإسلام في أخذ المهتدين بالأدنى من وجوه التدبر تدرجا بهم في مراقبي التدبر ، كما أن ورود الفك في النازل بالمدينة ترتيب طبعي للانتقال من الأدنى إلى الأعلى في التدبر ، وهو مما يشير إلى الترقى التصاعدي في التدبر ؛ تلاؤما مع حال المدعويين ، هذا ولم أقع على تأويل لأسرار الفك والإدغام فيما توفر لي من مراجع عدا ما رأيته عند البقاعي، على أن كثيرا من المفسرين أشاروا إلى أن الإدغام للتخفيف (١)

سياق (يدبروا) وأسرار الإدغام

المؤمنون / ٦٨ : الملحوظ أن الفعل المدغم أوقع هنا على القول، وقد " سمي القرآن قولاً لأنهم خوطبوا " (٢) وفي سورة ص أوقعه على الآيات ، وفي الفك أوقعه على القرآن الاسم العلم للكتاب العزيز، ويمكن أن يكون النظر في المفعول به ، واختلاف التعبير عنه من موضع لآخر مدخلا لاكتشاف أسرار الإدغام والفك ، ولم تذكر صيغ بالفك في سورة المؤمنون إلا في موضع واحد (يتضرعون) وذكرت صيغتان أخريان بالتخفيف ؛ علاوة على الصيغة محل البحث (غمد) (

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/١٢٥، ١٢٦، روح المعاني للآلوسي ١٢/١٨١، التحرير والتنوير ٢٣/٢٥٢ .

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٢/٢٥٢ .

المؤمنون / ٥٥) (تذكرون) (المؤمنون / ٨٥) فكأن اتجاه الصيغ في السورة إلى التخفيف في الغالب ، فجاءت يدبروا مدغمة ؛تناسبا مع هذا السياق ، فوق أن السياق ينكر على المشركين استكبارهم على الآيات والنكوص عنها ، وعدّها سامرا ، وكأني بصيغة الإدغام تنادي عليهم بالذم والتشنيع في أنهم يصنعون كل هذا الصنيع ، مع أنهم لم يرتقوا المرتقى الأدنى في تدبره على اعتباره قولاً ينبغي تدبره ؛ لذا لم يقل : أفلم يدبروا القرآن ، وهذا الذي أبصرته من النظر في المفعول به في المواضع الأربعة واختلافه ، ويمكن أن نبصر ذلك في كلام البقاعي — رحمه الله — حيث قال : " (أفلم يدبروا القول) أي : المتلو عليهم بأن ينظروا في أدباره وعواقبه ، ولو لم يبلغوا — في نظرهم — الغاية ، بما أشار إليه الإدغام ليعلموا أنه موجب للإقبال والوصال والوصف بأحسن المقال ، ولعله عبر بالقول ؛ إشارة إلى أن من لم يتقبله ليس بأهل لفهم شيء من القول ، بل هو في عداد البهائم " (١) فتناسب الإدغام سياقي الحال والمقال .

ص / ٢٩ : ذكرنا أن سورة (ص) هي أول السور نزولا ، وهذه الفترة يلائمها التخفيف في التدبر ، لأنها في بواكير الدعوة ، والناس في أول الدعوة لا يؤخذون بالعزائم ، وإنما يؤخذون بالرخص ؛ ترغيبا لهم في الدين ريثما يستقر الإيمان في قلوبهم ، فيترقون هم بأنفسهم إلى العزائم ذاك نهج القرآن في دعوته ، والذي أبصره أن صيغ الإدغام في سورة (ص)

(١) نظم الدرر ٥ / ٢١١، ٢١٢ .

أكثر من صيغ الفك ، فقد ورد يضلون (٢٦) و نعدهم (٦٢)
علاوة على الصيغة محل البحث ، وورد الفك مرة واحدة (يتذكر)
(٢٩) هذا ، وعطف صيغة مفكوكة على صيغة مدغمة يفتح الباب أمامنا
لفقه الأسرار حين نبصر السياق ، نجد أن الضمير في (يدبروا)
المدغم يعود إلى الذين كفروا على الأرجح ، فلاءم التخفيف ، كما أن
إيقاع التدبر على (آياته) يلائمه التخفيف أيضا فإن إيقاع الفعل على تدبر
مفردات أخف من إيقاعه على تدبر الكل ، كما جاء في صيغتي الفك ، أما
صيغة الفك (ليتذكر) فالمسند إليه (أولو الألباب) فلاءم الفك المشير إلى
الاجتهاد ، وهو المناسب لحال المسند إليه ؛ لذا لو قال هنا : وليذكر أولو
الألباب لوضعهم مع الكافرين على قدم المساواة في التأمل والتذكر ،
فالمغايرة بالفك والإدغام في الموضعين ؛ إشارة إلى وجوب تغيير المسند إليه
في كل طرف ، كما أن هذه المغايرة تلائم السياق ، ألا تبصر أن الآية
وقعت بعد قوله : تعالى — ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ (ص / ٢٨) فانتهى
التساوي الناتج عن عدم التساوي في الفقه والنظر ، وهذا لا يمنع ما ذكره
البقاعي — رحمه الله — من أن ضمير واو الجماعة راجع إلى المؤمنين ، وأن
في ذلك تخفيفا على الأمة ، حيث قال : " ولما كان كل أحد مأمورا بأن ينتبه
بكل ما يرى ويسمع على ما وراءه ، ولم يكن في وسع كل أحد الوصول
إلى النهاية في ذلك قنع منهم بما دونها ، فأدغمت تاء التفعّل في فاء الكلمة ؛

إشارة إلى ذلك " (١) ويؤيد ما ذهب إليه النظر إلى الآية الكريمة بإزاء
نظيرتها في سورة المؤمنين ، على أن ما ذكره البقاعي يلائم مقصود سورة
ص الذي حدده بقوله : " المقصود منها : بيان ما ذكر في آخر الصفات من
أن جند الله هم الغالبون ، وإن رئي أنهم ضعفاء " (٢) وهو إِبصار جيد لملاءمة
الإدغام المراد منه التخفيف لمقصود السورة ، غير أنه يعكسه عطف الفك
عليه ، واختلاف المسند إليه لكل منهما حسب السياق .

(١) نظم الدرر ٦ / ٢٨١، ٢٨٢ .

(٢) نظم الدرر ٦ / ٣٥٦ .

سياق (يتدبرون) وأسرار الفك

النساء / ٨٢ : التعبير بالفك هنا يتلاءم مع المراد من الاجتهاد في

التأمل والنظر ، وهو متناسب مع المفعول به (القرآن) ومع النتيجة التي يجب أن ينتهي إليها النظر والتأمل ، حيث ينتهي التدبر إلى أن القرآن على غلط واحد في الفصاحة والبلاغة على الراجح عند جمهور العلماء ، حيث اتفق الجمهور على نفي التفاوت في بلاغة الذكر الحكيم (١) ومثل هذه النتيجة لا تتأتى إلا بعد تعمل واجتهاد في التدبر ، ولا تتأتى بالوجه الأخف من التدبر ، وهو ما يلائم هذه الفترة من الدعوة ؛ لذا ذكر العلماء أن هذه الآية ، وآية سورة محمد (٢٤) دليل على وجوب تدبر القرآن (٢)

ولم يذكروا ذلك في آيتي الإدغام ، فوق أن الصيغة وردت في
تضعيف الحديث عن الجهاد في سبيل الله ، فلازم الفك سياق المقال، كما

(١) ينظر إعجاز القرآن للباقلاني بهامش الإتيان ١/ ٥٤:٥٣ ، ٢/ ٧٥ البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٤٨:٤٦ ، ط دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٣ م ، حاشية الشهاب على البيضاوي ٣/ ١٦٠ ، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٠/ ١٥١، ١٥٢ ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤١٥ هـ ، أنوار التنزيل للبيضاوي بهامش زادة ٢/ ٥٣ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ١٨٧ ، لباب التأويل في معاني التنزيل للبغدادى ٢/ ١١٨، ١١٩ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥ هـ ، روح المعاني للآلوسي ٣/ ٨٩، ٩٠ ، تفسير المراغي ١/ ٢٦٨، ٢٦٩ ط دار الكتب العلمية ١٤١٨ هـ .

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٨٧ ، نظم الدرر ٢/ ٢٨٧، ٢٨٦ .

لاءم سياق الحال ، كما أن الفك هنا يلائم مقصود السورة الذي يقتضي الإبلاغ في التدبر؛ وصولاً إلى مراقي التوحيد ؛ فإن " مقصودها الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه آل عمران (١) " كما أنه يتناسب مع الحديث عن النساء والميراث الذي اختصت به السورة ، وهما مما تعثر في أحوالهما الأفهام ، مما يحتاج إلى الاجتهاد في التدبر ، وكذلك أحوال المنافقين ، وهم يحتاجون لاجتهاد في تدبير أحوالهم وكشفهم .

محمد / ٢٤ : البديع أن الفك كما ورد في تضاعيف الحديث عن الجهاد في سبيل الله في سورة النساء ، والملاءمة على الوجه الذي ذكرناه، ورد كذلك في سورة محمد التي تسمى سورة القتال أيضا ، وقد جاءت الصيغة في تضاعيف الحديث عن الجهاد والمنافقين وموقفهم من الجهاد، وكما أوقع التدبر على القرآن مجملا هناك أوقعه عليه هنا ، وسورة محمد هي آخر السور نزولا في هذا الموضع ، وكما لاءم الفك الدال على الاجتهاد في التدبر مقصود سورة النساء لاءم مقصود سورة محمد فإن " مقصودها : التقدم إلى المؤمنين في حفظ حظيرة الدين بإدامة الجهاد للكفار ، حتى يلزمهم الصغار " (٢) ومما يشار إليه أيضا أن صيغ الإدغام في جنب الكافرين في السورة كانت هي الأشيع ؛ إشارة إلى غروب دولتهم ،

(١) نظم الدرر ٢/ ٢٠٤ .

(٢) نظم الدرر ٧/ ١٤٨ .

وانمحاء قوتهم ؛ لذا ذكرت (صدّوا) مرتين (٣٤،١) و (يضلّ
(مرة واحدة (٤) و (شاقوا) مرة واحدة (٣٢)

وقد أشار البقاعي إلى معنى الفك هنا قائلا : " ولما أخبر بذلك فكان
ربما سأل من لا يعي الكلام حق وعيه عن السبب الموجب لللعن المسبب
للصم والعمي ، أجابه بقوله منكرا موجحا مظهرا لثناء التفعّل ؛ إشارة إلى أن
المأمور به صرف جميع الهمّة إلى التأمل (أفلا يتدبرون) . . وربما دل إظهار
الثناء على أن ذلك من أظهر ما في القرآن من المعاني ، فلا يحتاج في العثور
عليه إلى كبير تدبر " (١) وما ذكره البقاعي أولا أبر بالسياق ، وما ذكره
ثانيا ملائم لظهور الإسلام على عدوه آنئذ، وغروب شمس الكفر ، فقد
لاءم الفك والإدغام سياق الحال والمقال في كل .

(١) السابق ١٧٠/٧ .

يذكرون — يتذكرون

ورد الفعل بصيغة المضارع مدغما في أربعة عشر موضعا ، وورد مقابله مفكوكا غير مبدل في ستة عشر موضعا ، على النحو التالي : —

أولا : مواضع الإدغام

١ — قال : — تعالى — ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ (البقرة / ٢٦٩)

٢ — قال : — تعالى — ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ (آل عمران / ٧)

٣ — قال : — تعالى — ﴿ وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ﴾ (الأنعام / ١٢٦)

٤ — قال : — تعالى — ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ (الأنعام / ١٥٢)

٥ — قال : — تعالى — ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ (الأعراف / ٢٦)

٦ — قال : — تعالى — ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ (الأعراف / ١٣٠)

٧ — قال : — تعالى — ﴿فأما تتقفتهم في الحرب فشردهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾ (الأنفال / ٥٧)

٨ — قال : — تعالى — ﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ (التوبة / ١٢٦)

٩ — قال : — تعالى — ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب﴾ (إبراهيم / ٥٢)

١٠ — قال : — تعالى — ﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ (النحل / ١٣)

١١ — قال : — تعالى — ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن لـيذكروا وما يزيدهم إلا نفورا﴾ (الإسراء / ٤١)

١٢ — قال : — تعالى — ﴿ولقد صرفناه بينهم لـيذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ (الفرقان / ٥٠)

١٣ — قال : — تعالى — ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾ (الفرقان / ٦٢)

١٤ — قال : — تعالى — ﴿ وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ (عبس / ٣، ٤)

ثانيا : مواضع الفك

١ — قال : — تعالى — ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴾ (البقرة / ٢٢١)

٢ — قال : — تعالى — ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ (الرعد / ١٩)

٣ — قال : — تعالى — ﴿ تَوَيَّْ أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ (إبراهيم / ٢٥)

٤ — قال : — تعالى — ﴿ فقول له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (طه / ٤٤)

٥ — قال : — تعالى — ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ﴾ (القصص / ٤٣)

٦ — قال : — تعالى — ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴾ (القصص / ٤٦)

٧ - قال : - تعالى - ﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ﴾
(القصص / ٥١)

٨ - قال : - تعالى - ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير ﴾ (فاطر / ٣٧)

٩ - قال : - تعالى - ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر
أولو الألباب ﴾ (ص / ٢٩)

١٠ - قال : - تعالى - ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ (الزمر / ٩)

١١ - قال : - تعالى - ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
لعلهم يتذكرون ﴾ (الزمر / ٢٧)

١٢ - قال : - تعالى - ﴿ هو الذي يريكم آياته ويترل لكم من السماء
رزقا وما يتذكر إلا من ينيب ﴾ (غافر / ١٣)

١٣ - قال : - تعالى - ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا
وعملوا الصالحات ولا المسيئ قليلا ما تتذكرون ﴾ (غافر / ٥٨)

١٤ - قال : - تعالى - ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ﴾
(الدخان / ٥٨)

١٥ - قال : - تعالى - ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان
ما سعى ﴾ (النازعات / ٣٥، ٣٤)

١٦ - قال : - تعالى - ﴿ وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى
له الذكري ﴾ (الفجر / ٢٣)

هذه المواضع موزعة على إحدى وعشرين سورة ، ست عشرة سورة من النازل بمكة ، وخمس منها من النازل بالمدينة ، وفي النازل بمكة وردت عشرة أفعال مدغمة ، وورد في مقابلها أربعة عشر فعلا مفكوكا ، وفي النازل بالمدينة وردت ستة مواضع ، أربعة منهما مدغمة ، في مقابلها اثنان مفكوكان ، والسور التي وردت فيها هذه المواضع على ترتيب التّروّل (الفجر / ١٠ ، عبس / ٢٤ ، ص / ٣٨ ، الأعراف / ٣٩ ، الفرقان / ٤٢ ، فاطر / ٤٣ ، طه / ٤٥ ، القصص / ٤٩ ، الإسراء / ٥٠ ، الأنعام / ٥٥ ، الزمر / ٥٩ ، غافر / ٦٠ ، الدخان / ٦٤ ، النحل / ٧٠ ، إبراهيم / ٧٢ ، النازعات / ٨١ ، البقرة / ٨٧ ، الأنفال / ٨٨ ، آل عمران / ٨٩ ، الرعد / ٦٩ ، التوبة / ١١٣) والملاحظ أن معظم الأفعال قد وقعت في النازل بمكة أربعة وعشرون موضعا ، وستة مواضع في النازل بالمدينة ، وفي ذلك ملاءمة لسياق الحال، من حيث عظم الحاجة إلى التذكّر في المرحلة المكية وما يشبهها على مر الزمان .

سياق (يذكرون) وأسرار الإدغام

البقرة / ٢٦٩ : جاء الفعل مدغما في سياق الحديث عن الصدقة، وعدم إتباعها بالمن والأذى ، ووقع المسند إليه (أولو الأبواب) معرفا بالإضافة، والإضافة هنا للأبواب ، وأولو الأبواب يلائمهم التعبير بأدنى وجوه التذكّر لطرد الشيطان حين يعدهم الفقر ، ويأمرهم بالفحشاء، كما

أن في التعبير بالإدغام ؛ بشارة لأولي الألباب المتصدقين بالقادرة على دفع الشيطان بالوجه الأدنى من التذكر ، كما أن الإدغام أيضا ناسب السياق اللاحق للآية محل الشاهد ، وفيه حديث عن الحث على إخفاء الصدقة، والإظهار لا يلائم هذا السياق ، وإنما يلائمه الإدغام، كما أن المتصدق حاز صفة المؤمنين بالغيب ، كما جاء في مطلع السورة الكريمة (ومما رزقناهم ينفقون) (البقرة / ٣) وهؤلاء إلى الإخفاء أقرب منه إلى الإظهار ، فجاء الإدغام ملائما سياقي الحال والمقال.

آل عمران / ٧ : جاء التعبير بالإدغام ملائما سياق المقال والحال، فقد ورد المدغم في سياق حديث الله عن موقف الراسخين من أهل العلم في المشابهة، وهؤلاء يلائمهم التنبيه بأدنى وجه من التذكر؛ تلاؤما مع رسوخهم في العلم ، كما أن الإدغام يوحي بأن الحديث عن المشابهة ينبغي أن يخفى ولا يظهر ، فجاء الإدغام ملائما المتحدث عنهم، إذ يكفيهم أدنى الوجوه في التذكر حين الحديث عن المشابهة .

الأنعام / ١٢٦ : قال البقاعي : " (لقوم يذكرون) أي : يجهدون أنفسهم في التخلص من شوائب العوائق للعقل من الهوى وغيره، ولو على أدنى وجوه الاجتهاد بما يشير إليه الإدغام "(١) وفي ذكر الفعل مدغما تناسب مع السياق ، وذلك أن السورة عرضت كثيرا من الآلاء الظاهرة ،

(١) نظم الدرر ٧١٣/٢ .

والآيات البينات في الكون (٩٥: ٩٩) فالإدغام مليح بأن عظم هذه الآيات كاف في التذكر ، ولو على أدنى وجه ؛ لذا قال قبل الفعل (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) أي : أن تفصيل الآيات يلائمه ، ولو على أدنى وجه من التذكر ، وهي مرحلة أولى من مراحل الدعوة بمكة ، والمراحل الأولى يلائمها الوجه الأدنى من التذكر ، فلاءم الإدغام سياقي الحال والمقال .

الأنعام / ١٥٢ : ورد الفعل مدغما في سياق حشد من الوصايا ، والوفاء بعهد الله ، وفي مثل هذا المقام والسياق يناسب التعبير بالإدغام الدال على الوجه الأخص من التذكر ؛ لأن العمل بما مما يشق على النفس ، لاسيما في ظروف نزول السورة ، قال البقاعي ، كاشفا عن علاقة الإدغام بالسياق : " ولما كانت هذه الأفعال والأقوال شديدا على النفس العدل فيها ؛ لكونها شهوات تقوم بالترغيب فيها ، والترهيب منها ، بأن كل من يفعل شيئا منها مع غيره يوشك أن يفعل مثله ؛ فلذلك حصّ على التذكر في الوصية بما ؛ ولأنها خفية تحتاج إلى مزيد تدبر ، فقال : (لعلكم تذكرون) أي : لتكونوا بحيث يحصل لكم التذكر ، ولو على وجه خفي بما أشار إليه الإدغام " (١)

(١) نظم الدرر ٢ / ٧٤٣ .

الأعراف / ٢٦ ، ١٣٠ : ورد الفعل مدغما في موضعين من
السورة الكريمة ، وهي سورة الإنذار ، كما يليح بذلك مطلعها وتراكيبها
تتظاهر على بيان هذا المقصود ؛ لذا وقع الفعل مدغما مرتين ؛ إشارة إلى أن
المطلوب هو الوجه الأدنى من التذكر ؛ تلاؤما مع الإنذار ، هذا ، والسورة
مكية أيضا ، والإدغام يلائم هذه المرحلة ، قال البقاعي : " (لعلهم
يذكرون) ولو على أدنى وجوه التذكر بما يشير إليه الإدغام " (١) هذا ، وقد
جاء الفعل في سياق الحديث عن قصة آدم — عليه السلام — وإغواء الشيطان له
، وهذا تذكير بالخلق الأول ، والآية الكريمة تذكر بما كان عليه آدم من
العري (قد أنزلنا عليكم يوارى سواكم وريشا) وقد وقعت الجملة التي
حوت الفعل المدغم ؛ تعليلا لذكر هذه الآية (ذلك من آيات الله)
فكأن التعبير بالإدغام يلائم ذكر هذه الآية التي تذكر بالضعف والمهانة ؛
لقاء مخالفة أمر الله ، مما يجب معه التذكر ، ولو على أدنى وجه .

أما الآية الثانية : فلقد جاء الفعل مدغما في سياق الحديث عن
فرعون وقومه ، وما أنزل الله بهم من البلاء ؛ حملاهم على التذكر ،
ومخاطبة مثل هؤلاء يلائمها الإدغام ، أي : أنزلنا بهم البلاء لحملهم على
الوجه الأدنى من التذكر ، قال البقاعي : " (لعلهم يذكرون) أي : ليكون
حاله حال من يرجو ناظره أن يتذكر في نفسه ، ولو بأدنى وجوه التذكر بما

(١) نظم الدرر ٣/ ٢٠ .

أشار إليه الإدغام" (١) فلاءم الإدغام حال المنذر وهو فرعون وقومه ، وأهل مكة في هذه المرحلة ، وما يشبهها على مر الزمان ، كما لاءم سياق المقال أيضا .

الأنفال / ٥٧ : جاء الفعل المدغم في سياق الحديث عن كفار مكة

، وقد نكل بهم النبي ﷺ — في غزوة بدر ، وأوحى الله له أن يزيد في التنكيل بهم ؛ حملاهم على التذكر ، ولو على أدنى وجه ؛ لأن من فتح الله له باب التذكر رقى وارتقى ، فالتعبير بالإدغام يلائم حال المخاطبين ، ويلائم السياق المقالي أيضا ؛ لأن السياق المقالي أيضا ؛ لأن السياق خطاب لمشركي مكة ، وحديث عما أصابهم من المسلمين ، ومن العجيب أنه قد سبق الآية بتشبيههم بفرعون (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم . . .) (الأنفال / ٥٤) وقد سبق التعبير في جنب فرعون وقومه بالإدغام في سورة الأعراف ، وهذه تليها في ترتيب المصحف الشريف .

التوبة / ١٢٦ : جاء الفعل مدغما في سورة التوبة ، وقد وقع

الفعل في سياق الحديث عن المنافقين ، وفي وقوع الفعل مدغما ؛ إجماء بانتفاء الرجاء من تذكر هؤلاء ، ولو على أدنى وجوه التذكر ، وفي ذلك ملاءمة للحال ؛ لأن المنافقين كذلك فعلا ، ولسياق المقال الذي ألح عليهم ؛ كشفا وبيانا وفضحا ؛ حملاهم على التذكر (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) (التوبة / ١٢٥) كما

(١) نظم الدرر ٨٨/٣ .

بين السياق أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ، دون أن يحملهم ذلك على الوجه الأدنى من التذكر ، ولو عبر بالفك لما لاءم سياق الحال ، ولا سياق المقال ؛ لأن مثل هؤلاء يطلب منهم الوجه الأدنى من التذكر ، قال البقاعي : " (يذكرون) أي : أدنى تذكر بما أشار إليه الإدغام " (١)

إبراهيم / ٥٢ : جاء الفعل مدغما في سياق الحديث عن أهوال الآخرة بعد الحديث عن المن والنعم ، والتعبير بالإدغام مليح بأن الوجه الأدنى من التذكر كاف للحمل على التوحيد بعد عرض هاتيك المنن ، وتلك الآيات ، وقد بين البقاعي المناسبة حين قال : " ولما تمت الإشارة إلى الدين أصلا وفرعا ، نبه على المواعظ والأمثال بتذكر ماله من الآيات والمصنوعات والبطش بمن خالفه من الأمم ، وأشار إلى أن أدلة الوجدانية والحشر لا تحتاج إلى كبير تذكر ؛ لأنها في غاية الوضوح ، ولا سيما بعد تنبيه الرسل فأدغم تاء التفعّل ، فقال : (وليذكر) " (٢) فلاءم الإدغام سياق المقال والحال ؛ لأن السورة مكية .

النحل / ١٣ : ورد الفعل مدغما في سياق الحديث عن نعم الله وآلائه ، وقد عبر بالإدغام ؛ إشارة إلى وضوح تلك الآيات في الحمل ولو على الوجه الأدنى من التذكر ، وقد عقد البقاعي هذه الآية بالسورة التي

(١) نظم الدرر ٣ / ٤٠٦ .

(٢) نظم الدرر ٤ / ١٩٨ .

قبلها ، فقال : " ولما نبه في التي قبلها على أن الأمر وصل في الوضوح إلى حد لا يحتاج معه إلى غير بديهية العقل ، نبه هنا على أن ذلك معلوم طراً عليه النسيان والغفلة ، حاثاً على بذل الجهد في تأمل ذلك ، وإشارة إلى أن دلالة على المقصود في غاية الوضوح ، فقال : (لقوم يذكرون) ولو لم يمنعوا — بما أفاده الإدغام " (١)

الإسراء / ٤١ : ورد الفعل المدغم في سورة الإسراء ، وهي مكة ، وقد ورد الفعل المدغم في سياق الحديث عن القرآن ، وقد جاء الفعل المدغم علة لتصريف آيات القرآن ، وهو خطاب للمشركين ومن شابههم ، وخطاب مثلهم يرجي منه الوجه الأدنى من التذكر ؛ لذا قال البقاعي : " (ليذكروا) أي : نوعاً من التذكر — بما أشار إليه الإدغام — فإنه — سبحانه — كريم يرضى باليسير هذا في قراءة الجماعة ، وقرأ حمزة والكسائي بإسكان الذال ، وضم الكاف ؛ إشارة إلى أن جميع ما في القرآن لا يخرج شئ منه عن العقل ، بل هو مركز في الطباع ، وله شواهد في الأنفس والآفاق ، يستحضرها الإنسان بأدنى إشارة ، وأيسر تنبيه " (٢) وكما ناسب الإدغام ما قبله ناسب ما بعده ، فقد ختمت الآية بقوله : — تعالى — (وما يزيدهم إلا نفورا) وهذا يعني أن المرجو منهم الوجه الأدنى من

(١) نظم الدرر ٤ / ٢٥٣ .

(٢) نظم الدرر ٤ / ٣٨٤ .

التذكر ، ولو جاء بالفك الدال على الاجتهاد في التذكر لما ناسب ما بعده ،
ولما لاءم حال المخاطبين .

الفرقان / ٦٢،٥٠ : ورد الفعل المدغم في سورة الفرقان ، وهي
تسبق سورة الإسراء نزولا ، وكلتا هما مكيتان ، وقد تقاربتا تركيبا ، وسياقا
، فهي خطاب لأهل مكة ، وعطف على الفعل المدغم تركيبا متقارب مع
ما في الإسراء (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) قال البقاعي : " (ليذكروا)
بالآيات المسموعة ما ركزنا في فطهرهم من الأدلة العقلية والمؤيدة بالآيات
المرئية ، ولو على أدنى وجوه التذكر المنجية لهم بما أشار إليه الإدغام " (١)
فالتعبير بالفعل مدغما هو الملائم لسياقي الحال والمقال .

وقد ورد الفعل المدغم الثاني في السياق نفسه ، وقد ورد في سياق
ذكر آيات إلهية ظاهرة واضحة يهتدي العقل من خلالها إلى الهداية (الذي
خلق السموات والأرض . . .) (الفرقان / ٥٩) (تبارك الذي جعل في
السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) (الفرقان / ٦١) وفي صدر
الآية (وهو الذي جعل الليل والنهار . . .) وقد جاء الإدغام موحيا بأن
الآيات من الوضوح والظهور بحيث يحمل ، ولو على أدنى وجه من التذكر ،
وفي ذلك قال البقاعي : " (أن يذكر) أي : يحصل له تذكر ، ولو على
أدنى الوجوه — بما دل عليه الإدغام — في قراءة الجماعة بفتح الذال

(١) نظم الدرر ٣٢٦/٥ .

والكاف المشددين لما يدل عليه عقله من أن التغير على هذه الهيئة العظيمة لا يكون بدون مغير قادر عظيم القدرة مختار، فيؤديه تذكره إلى الإيمان إن كان كفورا ، وقراءة حمزة بالتخفيف من الذكر تشير إلى أن ما يدلان عليه من تمام القدرة وشمول العلم الدال قطعاً على الوحدانية على غاية من الظهور لا يحتاج إلى فكر ، بل تحصل بأدنى التفات ^(١) وهي تتناغم مع قراءة الإدغام الذي يلائم سياق الحال ، فهو خطاب للمشاركين المرجو منهم أدنى الوجوه من التذكر ، والملائم لسياق المقال الدال على ظهور الآيات .

عبس / ٤ : ورد الفعل المدغم في سورة عبس ، وهي من أوائل السور نزولاً بمكة، وقد جاء في سياق عتابه — ﷻ — وقد عطف على فعل آخر مدغم (يزكى) وقد أسلفنا أن سياق السورة العام في معانيه — ﷻ — وأن الأفعال الواردة في السورة ماضية على نهج التخفيف ^(٢) أي : لا يجوز أن يترك ابن أم مكتوم ، ولو كان المرجو منه أدنى الوجوه من التذكر ، ولا يلائم مقامات العتاب التعبير بالفك الدال على الاجتهاد في التذكر ؛ لأن هذا إيلاء في العتاب ، إذ يكون معاتبة على ترك من يتوقع منه الاجتهاد في التذكر إلى من لا يتوقع منه أدنى تذكر .

(١) نظم الدرر ٣٣٣/٥ ، ٣٣٤ .

(٢) ينظر سياق يزكى وأسرار الإدغام من هذا الفصل .

سياق (يتذكرون) وأسرار الفك

البقرة / ٢٢١ : ورد الفعل المفكوك في سياق النهي عن مناكحة المشركين والمشركات ، وفي هذا محاربة لعادات الجاهلية ، ووضع مقاييس شرعية للكفاءة بين الزوجين ، وهذا مما يحتاج الاجتهاد في التذكر ؛ لأنه مخالف لإلف النفوس بالجيلات الجاهلية ، مما يوجب الاجتهاد في الإقلاع عنه فالشيطان راصد ، قد يحسن جمال المشركة في عين المؤمن ، وقد يمينه بما لدى المشركة من المال ، فهناك خير ظاهر بحسب رؤيته ، لكن حقيقة الخير في اتباع الدين وأوامره ، والفتنة الظاهرة (المال والجمال) تورثان الغفلة ، فاحتاج الأمر إلى الاجتهاد في التذكر ؛ لذا عبر بالإدغام ، لا بالفك ؛ تلاؤما مع هذا السياق ، وفي تفسير سر الفك يقول البقاعي : " (يتذكرون) أي : ليكونوا على حالة يظهر لهم بها بما خلق لهم ربهم من الفهم ، وما طبع في أنفسهم من الغرائز حسن ما دعاهم إليه ، وقبح ما نهاهم عنه غاية الظهور بما أفهمه الإظهار " (١) أي : أن في الفك إشارة إلى ظهور هذا الأمر ووضوحه عندهم بعد بيانه .

الرعد / ١٩ : ورد الفعل مفكوكا في سورة الرعد ، وهي مدنية ، وقد ورد في سياق تبيان الحق من الباطل بضرب المثال ، بما لا نظير له في الذكر الحكيم وضرب الأمثال مما يتطلب الاجتهاد في التذكر الذي يناسبه

(١) نظم الدرر ١/٤٢٠ .

التعبير بالفك ، لا بالإدغام ، كما أن الفعل جاء مفكوكا في سياق أسلوب قصص بـ (إنما) تأكيداً على عدم استواء من يتعرف على الحق مع من لا يعرفه (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) والتشبيه ينادي على قوله : — تعالى — في السياق (قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور . . .) (الرعد / ١٦) أي : لا يستوي المهتدي البصير بالضال الأعمى ، فالأوصاف المذكورة في سياق الفعل (البصير — النور) دالة على الاجتهاد في التذكر ؛ لذا قال البقاعي : " (إنما يتذكر) أي : يطلب الذكر طلباً عظيماً " (١) فتناسب الفك هذا السياق .

إبراهيم / ٢٥ : ورد الفعل مفكوكا في سياق ضرب الأمثال ، والأمثال حين تضرب تحتاج إلى اجتهاد في تأملها وفقهها ، ومثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة — السياق السابق واللاحق للفعل — لا نظير له في الذكر الحكيم ، وقد وقع الفعل المفكوك في سياق جملة وقعت علة لضرب الأمثال (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) إشارة إلى الاجتهاد في فقه هذه الأمثال ؛ لذا قال البقاعي : — تعليقا على جملة الترجي — " أي : ليكون حالهم حال من يرجي له غاية التذكر بما أشار إليه الإظهار " (٢) ذلك أنه ورد في سياق الترغيب في الكلمة الطيبة ، والجمهور على أنها كلمة التوحيد ، والترهيب من الكلمة الخبيثة ، أي : كلمة الكفر ، وضرب المثل

(١) نظم الدرر ١٤٥/٤ .

(٢) نظم الدرر ١٨٤/٤ .

إنما يكون لفقه آثار كل كلمة منهما ، والتوحيد مما يحتاج إلى اجتهاد في التذكر ، فناسب الفك هذا السياق .

طه / ٤ : ورد الفعل المدغم في سياق جملة تعليلية لإرسال موسى وأخيه هارون — عليهما السلام — إلى فرعون ، وقد جاءت هذه الجملة ؛تعليلًا للين القول الذي جاء عقب تعليل الأمر بذهابهما (إنه طغى) وهذه الجملة قد تقطع رجاءهما في الذهاب إلى فرعون لأنه طغى ، فجاء الفك موحيا لهما بما ينبغي أن يكون عليه رجاؤهما من توقع اجتهداه في التذكر ، وقد ألحقت الآية بالكشف عن خوفهما من فرعون (قالوا ربنا إنما نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) (طه / ٥) فرفع الله عنهما الخوف بقوله : — تعالى — (قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى) (طه / ٦) وهو مما لا نظير في الذكر الحكيم ، والفك يتأزر مع كل ذلك في حثهما على الذهاب إلى فرعون ؛إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون رجاؤكما في تذكره على الوجه الأعلى ، لا على الوجه الأدنى .

القصص / ٤٣، ٤٦، ٥١ : ورد الفعل المفكوك في ثلاثة مواضع من السورة الكريمة ، الموضع الأول في سياق فرعون وقومه ، الموضعان الآخران في مشركي مكة ، وقد وقع الفعل مفكوكا في الآية في سياق الحديث عن التوراة والمعجزات التي آتاها الله موسى — ~~عليه السلام~~ — (بصائر للناس وهدى ورحمة) وقد بين القرآن أن العلة وراء كل ذلك هي (

لعلهم يتذكرون) وفي التعبير بالفك هنا إشارة إلى وضوح الآيات والمعجزات التي يرجى معها اجتهداهم في التذكر ، وما أوتيت أمة من المعجزات الحسية مثل ما أوتيت أمة اليهود ، والتعبير بالفك يشير إلى جرم اليهود ، حيث أوتوا ما يرجى معه الاجتهاد في التذكر ، ومع ذلك لم يقع منهم تذكر ، ولو على أدنى وجه .

أما الآية الثانية فقد وردت أيضا في هذا السياق ، غير أن الحديث بالفعل المفكوك انتقل من اليهود إلى مشركي مكة (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) وإنما عبر بالفك ؛ إشارة إلى أنهم أوتوا من القرآن الذي منه إيراد قصص السابقين الذي أورد رحمة بالأمة ؛ وحملهم على الإيمان ؛ نجاة مما أهلك السابقين ، بما يرجى معه اجتهداهم في التذكر وإظهاره ؛ تناسبا مع ظهور الآيات ووضوحها ، قال البقاعي في التعليق على فك الفعل (لعلهم يتذكرون) " لمثل ما تقدم من أنهم إذ قبلوا ما جئت به ، وتدبروه أذكروهم إذكارا ظاهرا بما أشار إليه الإظهار " (١)

وقد جاء الموضوع الثالث مفكوكا ؛ تناسبا مع هذا السياق أيضا ، ومع تركيب الآية المفتحة بأسلوب القسم (ولقد وصلنا لهم القول) فجاء التعبير بالفك مشيرا إلى قوة حجة القرآن وظهورها بما يرجى معه الاجتهاد في التذكر ، وإنما وقعت الأفعال بالفك في المواضع الثلاثة ؛ تناسبا مع

(١) نظم الدرر ٥ / ٤٩٦ .

مقصود السورة الكريمة ، فإن مقصودها : " التواضع لله المستلزم لرد الأمر كله إليه ، الناشئ من الإيمان بالآخرة الناشئ عن الإيمان بنبوة محمد ﷺ — الثابتة بإعجاز القرآن " (١) والتعبير بالفك في هذا السياق فاضح لتكبرهم بعدم قبولهم الحق ، وذلك أنهم مع إيتائهم ما يحملهم على الاجتهاد في التذكر ، لم يكن منهم الوجه الأدنى من التذكر ، قال البقاعي : — معلقا على فك الفعل — " أي : ليكون حال الذين يرجي لهم أن يرجعوا إلى عقولهم ، فيجدوا فيما طبع فيها ما يذكرهم بالحق تذكيرا بما أشار إليه الإظهار " (٢)

(١) نظم الدرر ٥ / ٤٦٠ .

(٢) نظم الدرر ٥ / ٤٩٩ .

فاطر / ٣٧ : ورد الفعل المفكوك في سياق موقف من مواقف

الآخرة وأهوالها ، في توبيخ من حقت عليهم كلمة العذاب (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا . . .) وسياق التوبيخ والتنديم يلائمه التعبير بما هو أعلى ، وفي ذلك زيادة تحسير لهم ، أي : قد أمهلناكم بما كان الأصل فيه أن تجتهدوا في التذكر ، وتبالغوا في إظهاره ، لكن لم يحدث شيء من ذلك ، ولا ما دونه ، فالتعبير بالفك الدال على الاجتهاد في التذكر هو الألتصق بسياق الحال ؛ لأنه خطاب لهم في الآخرة بعد استحقاقهم العذاب ؛ زيادة في التنديم ، كما أنه لاءم سياق المقال المتحدث عن الآخرة .

ص / ٢٩ : ورد الفعل مفكوكا على الرغم من عطفه على فعل

مدغم لأسرار ذكرناها في (يدبروا — يتدبروا) والظاهر أن سر الفك هنا لاختلاف المسند إليه في الفعلين ، فالضمير في (يدبروا) يعود إلى الفجار ، وأولو الألباب يفسره صفة التقوى ، لأن الآية جاءت عقب قوله : — تعالى — في نفي استواء الفريقين (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) (ص / ٢٨) ويرى البقاعي أن الإدغام وإتباعه الفك ترق في الاعتاظ ، حيث قال : " (ليتذكر) أي : بعد التدبر تذكر عظيمًا جليًا بما أشار إليه الإظهار " (١) لكني أطمئن إلى ما ذهبت إليه بمعونة السياق الذي بينته .

(١) نظم الدرر / ٣٨٢ .

الزمر / ٢٧، ٩ : وقع الفعل مفكوكا في موضعين من السورة
الكريمة ، الموضع الأول في سياق بيان عدم تساوي من يجتهد في العبادة مع
غيره ، وعدم تساوي من يعملون و من لا يعملون ، وفي التعبير بالفك
إشارة إلى وضوح عدم استواء الفريقين ، بما ينبغي معه إظهار ذلك
ووضوحه ، وعدم إخفائه ، كما يشير إليه الإظهار ، قال البقاعي : "إنما
يتذكر (أي : تذكر) عظيما بما أفهمه إظهار التاء ، فيعلم أن الحسن لا
يرضى بالإحسان إلى من يأكل خيره ويعبد غيره " (١)

وقد ورد الفعل المفكوك في الموضع الثاني في سياق مفعم بضرب
الأمثال ، وقد جاءت الآية موضع الفعل تعقيبا على ذلك (ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل . .) وقد وقع الفعل المفكوك في سياق
جملة وقعت تعليلا لضرب الأمثال ، وتأمل الأمثال مما يحتاج إلى اجتهاد في
الفقه والفهم ؛ لذا جاء الفعل مفكوكا دلالة على ذلك ؛ وإشارة إلى
الاجتهاد في فقه أمثال الذكر الحكيم ، ويمكن أن يكون في الإظهار إشارة
إلى وضوح البرهان في الأمثال ، قال البقاعي : " أي : ليكون حالهم بعد
ضربه حال من يرجى تذكره بما ضرب له ما يعرفه في الكون نفسه ، أو في
الآفاق ؛ تذكرنا واضحا مكشوفاً بما أشار إليه الإظهار ، فيتعظ لما في تلك

(١) نظم الدرر ٤٢٨/٦ .

الأمثال المسوقة في أحسن المقال المنسوقة بما يلائمها من الأوضاع
والأشكال من البيان ، وأوضح البرهان " (١)

غافر / ٥٨، ١٣ : ورد الفعل المفكوك في سياق موقف من مواقف
اليوم الآخر ، وقد ندم الكفار (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين
فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) (غافر / ١١) فجاءت الآيات
بعد ذلك ؛ تبكيتهما وتنديما ، وقد سبق الفعل المفكوك بأسلوب مجازي (
ويتزل لكم من السماء رزقا) زيادة في التبكيت ، أي : أن الرزق النازل
من السماء (الماء) كان وحده كافيا في الحمل على الاجتهاد في التذكر ،
فيكون في الإظهار زيادة تبكيت لهم ببيان وضوح الآيات الحاملة على
الوجه الأعلى في التذكر ، فالفك هو المناسب لسياقي الحال والمقال ، قال
البقاعي : " (وما يتذكر) ذلك تذكرنا تماما بما أشار إليه الإظهار ، فيقيس
عليه بعث من أكلته الهوام ، وانمحق باقيه في الأرض " (٢)

وقد جاء الموضع الثاني في سياق بيان عدم تساوي المؤمنين مع
الكافرين ، وهو متقارب مع سياق ما جاء في سورة الرعد ، وقد جاء الفعل
مفكوكا ؛ كشفا عن وضوح المثل المضروب لعدم تساوي الفريقين بما يجب
أن يكونوا معه على غاية ظاهرة من التذكر ، وقد بين البقاعي مناسبة الفك

(١) نظم الدرر ٦ / ٤٤٢ .

(٢) نظم الدرر ٦ / ٤٩٢ .

لما قبله فقال : " ولما تقرر هذا على هذا النحو من الوضوح الذي لا ممانع للإنسان من فهمه وروسوخه في علمه إلا عدم تذكره لحسه حتى في نفسه ، قال : — تعالى — (قليلا ما يتذكرون) أي : الجادلون ، أو أيها الجادلون أو الناس ، لأن المتذكر غاية التذكر — بما دل عليه الإظهار — منكم قليل على قراءة الكوفيين بالخطاب ؛ لأنه أقوى في التبيكيت ، وأدل على الغضب " (١)

الدخان / ٥٨ : ورد الفعل المفكوك في جملة تعليلية لتيسير الذكر الحكيم ، وفي التعبير بالفعل مفكوكا تناسب مع السياق ، لما فيه من التناسب مع ظهور تيسير القرآن الكريم ووضوحه الذي يناسبه الإظهار ، لا الإخفاء ، وهو متقارب مع سياق سورة الزمر ، الذي عبر فيه بالفك ، كما أنه متقارب مع سياق سورة القصص الذي ورد الفعل مفكوكا فيه في سياق قصة فرعون ، وهذا الموضع في وصف ما أصابه في الدنيا ، كما أن الفعل جاء مفكوكا ؛ تناسبا مع مقصود السورة الذي تتظاهر عليه تراكيبها ، فإن مقصودها : " الإنذار من الهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الحكيم من الخير والبركة " (٢) أي : أن القرآن يسر تيسيرا يحمل على الاجتهاد في التذكر خوفا من الهلكة .

(١) نظم الدرر ٦ / ٥٢٨ .

(٢) نظم الدرر ٧ / ٦٢ .

النازعات / ٣٥ : ورد الفعل مفكوكا في سياق الحديث عن يوم القيامة (فإذا جاءت الطامة الكبرى) (النازعات / ٣٤) والمناسب لمثل هذا السياق التعبير بالفعل مفكوكا تناسبا مع الحال الذي يكون عليه الإنسان من الاجتهاد في تذكر أعماله وسعيه ، فإنه يوم لا ينفع فيه غير العمل ، ألا ترى أنه قال بعد الآية محل الشاهد (وبرزت الجحيم لمن يرى) (النازعات / ٣٦) أي : أظهرت إظهارا عظيما ، ولم يذكر الجنة ، فقد وقع الفعل مفكوكا دالا على الاجتهاد في التذكر في سياق الترهيب الذي أحاط بالآية من بين يديها ومن خلفها ، قال البقاعي — كاشفا عن التعبير بالفك في هذا السياق — " ولما كان الشئ لا يعرف قدره إذا كان غائبا إلا بما يكون فيه ، قال مبدلا منه (يوم يتذكر) أي : تذكرنا عظيما ظاهرا — بما أشار إليه الإظهار . . . (ما سعى) أي : عمل كله من خير وشر ؛ لأنه يراه في صحيفة أعماله ، والإخبار عن تذكره منبها على ما في ذلك اليوم من الخطر ، لأن أحدا لا يعمل جهده في تذكره إلا لخروج إلى ذلك ، وهو الحساب وتدوينه في صحيفة أعماله " (١)

الفجر / ٢٣ : ورد الفعل مفكوكا في سياق موقف من مواقف يوم القيامة ، وقد جاء في سياق من الترهيب لا نظير له في الذكر الحكيم (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا) (الفجر / ٢١، ٢٢) وتتفرد سورة الفجر في حديثها عن اصطفاف الملائكة

(١) نظم الدرر ٣١٩/٨ .

بقرن ذلك الاصطفاف بمجيئ الجبار — جل وعز — كما تنفرد بقوله : —
تعالى — (صفا صفا) ثم جاء بعد ذلك الآية محل الشاهد (وحيي
يومئذ) ولست مع من ذكر أن الحجيئ هنا على سبيل التجوز؛ احتججا بأن
النار لم تتحرك من مكانها (١) وهذا في اعتقادي كمن يظن أن الأرض لا
تتحرك ؛ لذا نختار ما ذهب إليه كثير من أهل العلم من مجيئ جهنم على
الحقيقة (٢) والذي يعيننا من كل هذا أن السياق الذي وجد فيه الفعل
مفكوكا هو سياق التهيب ، لا ملاذ منه بعد الله إلا بالعمل؛ لذا نجتهد
النفس في تذكر أعمالها ، وتظهره ، فالفك هو الملازم لكل ذلك ، لا
الإدغام .

إجمال لأسرار الإدغام :

لحظنا أن التعبير بالفعل مدغما جاء بشارة لأولي الألباب المتصدقين
يدفع الشيطان بأدنى الوجوه من التذكر في سورة البقرة ، كما جاء إشارة
إلى ما ينبغي إخفاؤه حين الحديث عن المشابهة في آل عمران، كما جاء
إشارة إلى قوة ظهور النعم والمن في الحمل ، ولو على أدنى وجه من التذكر
، كما في الأنعام في الموضع الأول ، كما جاء متناسبا مع الحديث عن

(١) ينظر أنوار التنزيل بآمال زادة ٦٥٨/٤ ، حاشية محي الدين شيخ زادة ٦٥٨/٤ ، التفسير
البياني ٥٧ ، د/ عائشة عبد الرحمن ، ط دار المعارف .

(٢) ينظر : روح المعاني ١٥/١٢٨ ، في ظلال القرآن ٦/٣٩٠ ، التحرير والتنوير ٣٠/٣٣٨

الوصايا ، وما فيها من الخفاء الذي يحتاج إلى تدبر في الموضع الثاني ، وفي الأعراف جاء متلائما مع مقصود السورة الذي هو الإنذار في الموضع الأول ، وفي الموضع الثاني جاء متناسبا مع حال المنذر (فرعون وقومه) وفي الأنفال جاء ملائما لحال المخاطبين (مشركي مكة) وفي التوبة جاء الإدغام مليحا بانتفاء رجاء تذكر المنافقين ، ولو على أدنى وجه ، وفي إبراهيم جاء الإدغام مليحا بأن الوجه الأدنى من التذكر كاف في الحمل على التوحيد ، وفي النحل جاء الإدغام مليحا بقوة الآيات والمنن في الحمل على التذكر ، ولو بأدنى وجه ، وفي الإسراء جاء الإدغام متناسبا لحال المخاطبين (أهل مكة) الذي لم يكن منهم أدنى وجه في التذكر ، ومثله ما جاء في الفرقان في الموضع الأول ، وفي الموضع الثاني جاء الإدغام مشيرا إلى وضوح الآلاء المذكورة في الحمل على التذكر ، ولو على أدنى وجه ، وفي عبس جاء الفعل مدغما تناسبا مع سياق المعاتبة ، وما يقتضيه من التخفيف .

إجمال لأسرار الفك

جاء الفك تعبيرا عن الاجتهاد في التذكر لما يحتاجه النهي عن مناكحة المشركين من مغالبة الهوى ، وجاء الفك تعبيرا عن ذلك أيضا في سورة الرعد تناسبا مع سياق ضرب الأمثال ، ومثله ما جاء في سورة إبراهيم ، وسورة الزمر في الموضع الثاني ، وجاء في سورة طه ؛ إشارة إلى ما

ينبغي أن يكون عليه رجاء موسى وهارون — عليهما السلام — وجاء في سورة القصص ؛ إشارة إلى وضوح ما ورد من قصص السابقين في الحمل على أعلى وجه في التذكر في المواضع الثلاثة من سورة القصص، وفي فاطر جاء التعبير بالفك؛ تناسبا مع سياق التوبيخ والتنديم في موقف من مواقف الآخرة ، ومثله ما جاء في غافر في الموضع الأول منها، وكذلك النازعات والفجر ، وجاء متناسبا مع ظهور عدم تساوي المؤمنين والكافرين في سياقات بيان عدم تساوي الفريقين ، وذلك في سورة ص، والزمر في الموضع الأول منها ، وغافر في الموضع الثاني ، وجاء في سورة الدخان ؛ تعبيرا عن قوة ظهور تيسير القرآن .

الخاتمة

وبعد هذا الإبحار بالفك والإدغام في الذكر الحكيم ، نلقي عصا التسيار، وقد أبصرنا التعبير بالفعل مدغما ومفكوكا في سياقات متنوعة، وهو في كل سياقاته جاء مطابقا مقامه ، مناسبا مع سياقه ، وقد أبصرنا على صفحات البحث ما يمكن إجماله ما يلي :

١ — أن الإدغام يأتي لقصد الدلالة على إخفاء الفعل ، أو حصوله على الوجه الأدنى في سياقات الحديث عن مواقف في يوم القيامة تناسبا مع انتفاء المعارضة والمجادلة ، وتحقيق كل ما وعد به الذكر الحكيم في هذا اليوم .

٢ — أن الإدغام يأتي مشيرا إلى ما ينبغي أن يكون عليه الفعل من الإخفاء وعدم الإظهار ، وذلك في مقامات النصح والإرشاد .

٣ — أن الإدغام يأتي دالا على حرمة وقوع الفعل ، ولو على الوجه الأدنى ، وذلك في مقامات الترهيب .

٤ — أن الإدغام يأتي إشارة إلى قبول الأعمال ، ولو على الوجه الأدنى؛ بشارة للمؤمنين ، وذلك في سياق الحديث عن الأعمال الشاقة كالصوم والحج .

٥ — أن الإدغام يأتي إشارة إلى انتفاء وقوع الفعل الدال على الأذى ، ولو على الوجه الأدنى ، وذلك في مقامات حديث المؤمنين عما هم فيه من خير في الجنة.

- ٦ — أن الإدغام يأتي مشيراً إلى خفاء الفعل لخفاء مسالك فاعله، وذلك في مقامات الحديث عن الشيطان والهوى .
- ٧ — أن الإدغام يأتي مشيراً إلى عظمة الفعل، ولو على الوجه الأدنى بالنظر إلى فاعله، وذلك في سياقات الحديث عن الامتنان والترهيب من قدرة الله .
- ٩ — أن الإدغام يأتي دالاً على التخفيف في سياقات المعاتبة؛ تخفيفاً على المعاتب، وغير ذلك كثير في تضاعيف البحث .
- ١٠ — أن الفك يأتي دالاً على الإظهار، وذلك في مقامات الفرح والرغبة في ازدياد الخير .
- ١١ — أن الفك يأتي مشيراً إلى كثرة وقوع الفعل، وذلك في مقامات كثرة قصص النبيين .
- ١٢ — أن الفك يأتي دالاً على حرمة إظهار الفعل، وذلك في مقامات النهي عن المن .
- ١٣ — أن الفك يأتي مشيراً إلى عدم جواز العقاب الدنيوي على الفعل إلا إذا أظهره صاحبه، وذلك في مقامات الحديث عن الردة .
- ١٤ — أن الفعل الذي يرد مفكوكاً ومدغماً في سياق واحد يشير إلى حرمة وقوعه بكل سبيل، وغير ذلك مما هو متناثر في البحث .

أهم المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعلامة أبي السعود ، ط دار الفكر ١٤٠٢هـ .
٢. أسرار العربية لابن الأنباري تحقيق محمد بهجة البيطار، ط الترقى، دمشق ١٣٧٧هـ .
٣. إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني ، تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجي ، ط، صبيح ، ١٩٦٩م .
٤. أنوار التنزيل في أسرار التأويل للبيضاوي بهامش حاشية الشهاب الخفاجي، ط ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ .
٥. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط المكتبة العصرية ، بيروت ، دون تاريخ .
٦. الأصول في النحو لابن السراج تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي ، ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٢٠هـ .
٧. الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ، ط ، الأنجلو ، ١٩٩٥م .
٨. الإيضاح للخطيب القزويني ، ط ، مكتبة الآداب، مصر ١٤٢٠هـ .
٩. بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، ط ، مكتبة الآداب بمصر ، ١٤٢٠هـ .

- ١٠ . البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرماني ، ط مجلة الأزهر ١٤١٤هـ .
- ١١ . البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ط ، دار المعرفة بيروت ، دون تاريخ .
- ١٢ . البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ، الخانجي ١٣٨١هـ .
- ١٣ . تصريف الأسماء د/ مزيد نعيم ، د/ شوقي المعري ، ط ، التعاونية ، دمشق ، دون تاريخ .
- ١٤ . تفسير الجلالين لجلال الدين الخلي ، وجلال الدين السيوطي ، ط دار الجليل ، بيروت ، دون تاريخ .
- ١٥ . تفسير المراغي ، لأحمد المراغي ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ .
- ١٦ . تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، ضمن شروح التلخيص ، ط ، السعادة ١٣٤٢هـ .
- ١٧ . توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لأبي القاسم المرادي ، تحقيق د/ عبد الرحمن علي سليمان ، ط دار الفكر ، مصر ١٤٢٢هـ .
- ١٨ . التبيان في المعاني والبديع والبيان للطبي ، تحقيق د/ عطية مطر الهلائي ، ط ، عالم الكتب ١٤٠٧هـ .
- ١٩ . التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ط ، دار سحنون ، تونس ، دون تاريخ .

- ٢٠ . الترجي في آي من الذكر الحكيم د/ إبراهيم صلاح الهدهد، مستل من حولية كلية اللغة العربية ، القاهرة ١٤١٧هـ .
- ٢١ . التفسير البياني ، د/ عائشة عبد الرحمن، ط، دار المعارف ١٩٧٧م .
- ٢٢ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٣هـ .
- ٢٣ . حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير القاضي البيضاوي ، ط، دار صادر بيروت ، دون تاريخ .
- ٢٤ . حاشية الصاوي على تفسير الجلالين للعلامة الصاوي ، ط دار الجيل ، بيروت ، دون تاريخ .
- ٢٥ . حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دون تاريخ .
- ٢٦ . خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى ، تحقيق / عبد السلام هارون ، ط الخانجي ١٤١٨هـ .
- ٢٧ . خصائص التركيب، د/ محمد أبو موسى، ط، وهبة ١٩٨٠م .
- ٢٨ . الخصائص لابن جني ، تحقيق / محمد علي النجار ، ط دار الهدى ، بيروت دون تاريخ .
- ٢٩ . دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر ، ط ، عالم الكتب، بيروت ١٤١١هـ .
- ٣٠ . ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان تحقيق د/رجب عثمان، ط ، الخانجي ، ١٤١٨هـ .

- ٣١ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ .
- ٣٢ . الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، لمكي بن أبي طالب القيسي تحقيق د/ أحمد حسن فرحات ، ط ، دار الكتب العربية، دمشق ١٩٧٣م .
- ٣٣ . سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، ط صبيح ١٩٦٩م .
- ٣٤ . السراج المنير للخطيب الشربيني ، ط الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، دون تاريخ .
- ٣٥ . شذا العرف في فن الصرف للشيخ الحملاوي ، ط ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٥٧م .
- ٣٦ . شرح ابن عقيل لبهاء الدين بن عقيل ، ط مؤسسة الصادق ، طهران ١٤١٤هـ .
- ٣٧ . شرح شافية بن الحاجب للشريف الرضي ، تحقيق محمد نور الحسن وآخر، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٥م .
- ٣٨ . شرح الكافية بن مالك تحقيق علي محمد معوض ، وعادل عبد الموجود ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٠هـ .
- ٣٩ . شرح المفصل لابن يعيش ، ط عالم الكتب بيروت ، والمتنبي بمصر دون تاريخ .

- ٤٠ . شرح التلخيص للبابري تحقيق د/ محمد مصطفى رمضان ، ط المنشأة العامة ليبيا ١٣٩٢هـ .
- ٤١ . الطراز المتضمن علوم البلاغة وحقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ .
- ٤٢ . عروس الأفراح للسبكي ، ضمن شروح التلخيص ، ط السعادة ، مصر ١٣٤٢هـ .
- ٤٣ . علم الأصوات ، برتيل مالميرج ترجمة وتعريب د/ عبد الصبور شاهين ، ط مكتبة الشباب ، مصر ، دون تاريخ .
- ٤٤ . علم الصرف الصوتي ، د/ عبد القادر عبد الجليل ، ط دار أزمدة ، الأردن ١٩٩٨م .
- ٤٥ . علم الفصاحة العربية ، د/ محمد علي رزق الخفاجي ، ط ، دار المعارف ١٩٨٢م .
- ٤٦ . علم اللغة د/ علي عبد الواحد وافي ، ط ، دار نهضة مصر ١٩٩٧م .
- ٤٧ . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الجيل ، بيروت ١٤٠١هـ .
- ٤٨ . في حقيقة الإدغام د/ جعفر عباينة ، مستلة من أبحاث البرموك ، الأردن ١٩٨٥م .
- ٤٩ . في ظلال القرآن للمرحوم سيد قطب ، ط دار الشروق ١٤٠٦هـ .
- ٥٠ . الفتوحات الإلهية ، للشيخ الجمل ، ط ، عيسى الحلبي ، دون تاريخ .

- ٥١ . القاموس المحيط للفيروزآبادي ، ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٥٢ . الكتاب لسيبويه ، ط المكتبة الكبرى الأميرية ١٣١٧هـ .
- ٥٣ . الكشف للزمخشري ، ط ، دار المعرفة ، بيروت ، دون تاريخ .
- ٥٤ . الكليات لأبي البقاء الكفوي تحقيق د/ عدنان درويش ، ومحمد المصري ط، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣هـ .
- ٥٥ . لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين البغدادي ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ .
- ٥٦ . لسان العرب لابن منظور ، ط دار المعارف ١٩٧٩م .
- ٥٧ . اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان، ط عالم الكتب ١٤١٨هـ .
- ٥٨ . مختصر السعد ضمن شروح التلخيص ، ط السعادة ١٣٤٢هـ .
- ٥٩ . مختار الصحاح للرازي ، تقديم د/ عبد الفتاح البركاوي ، ط ، دار المنار ، دون تاريخ .
- ٦٠ . معجم البلاغة العربية ، د / بدوي طبانة ، ط دار المنارة ، السعودية ، ١٤٠٨هـ .
- ٦١ . مفتاح العلوم للسكاكي ، تحقيق نعيم زرزور ، ط ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣هـ .
- ٦٢ . مفاتيح الغيب للفخر الرازي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٥هـ .

- ٦٣ . ملاك التأويل القاطع بدوي الإخاد والتعطيل لابن الزبير الغرناطي ، تحقيق د/ سعيد الفلاح ، ط دار الغرب الإسلامي .
- ٦٤ . منتخب ما قيل في شرح ابن عقيل للشيخ يوسف البقاعي ، ط مؤسسة الصادق ، طهران ، ١٤١٤هـ .
- ٦٥ . من بلاغة النظم العربي، د/ عبد العزيز عرفة ، ط عالم الكتب ١٤٠٥هـ .
- ٦٦ . من وظائف الصوت اللغوي د/ أحمد كشك ، نشر المؤلف ١٤١٨هـ .
- ٦٧ . مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ، ضمن شروح التلخيص ، ط، السعادة ١٣٤٢هـ .
- ٦٨ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق د/ بدوي طبانة ، د/ الحوفي ، ط دار نهضة مصر .
- ٦٩ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ، ط، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٢هـ .
- ٧٠ . المطول لسعد الدين التفتازاني ، ط المكتبة الأزهرية للتراث، دون تاريخ .
- ٧١ . المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، ط ، مصطفى الحلبي ، ١٣٨٦هـ .
- ٧٢ . المفصل في صناعة الإعراب للنزحشري ، ط عالم الكتب بيروت ، والمتنبى بمصر ، دون تاريخ .

- ٧٣ . المقتضب للمبرد ، تحقيق الشيخ / محمد عبد الخالق عزيمة ، ط عالم الكتب ، بيروت ، دون تاريخ .
- ٧٤ . الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ، ط مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٦ م .
- ٧٥ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ هـ .
- ٧٦ . نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي تحقيق د/ بكري شيخ أمين ، ط ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- ٧٧ . الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد الإسكندري بهامش الكشاف ، ط ، دار عالم المعرفة ، بيروت ، دون تاريخ .
- ٧٨ . النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، تحقيق الشيخ محمد علي الضباع ، ط ، دار الفكر ، دون تاريخ .
- ٧٩ . النكت في إعجاز القرآن للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق د/ محمد خلف الله ، د/ محمد زغلول سلام ، ط ، دار المعارف ١٩٥٥ م .
- ٨٠ . النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، تحقيق د/ محمود الطناحي ، ط ، بيروت ، دون تاريخ .
- ٨١ . هـمـع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي ، تحقيق أحمد شمس الدين ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٨ هـ .
-

فهرس الموضوعات

الموضوع

..... مقدمة

تمهيد

..... الإدغام لغة

..... الإدغام اصطلاحاً — نوعا الإدغام

..... حالات الإدغام

الجهود السابقة في ظاهرة الإدغام، أولاً : علماء الأصوات

..... النحاة وظاهرة الإدغام

حديث البلاغيين في فصاحة المفرد عن الجانب الصوتي ،

..... وعلاقته بظاهرة الإدغام

..... وقفة مع القدامى والمحدثين في ظاهرة الإدغام

..... الفك والإدغام محل البحث — مواضع الدراسة

الفصل الأول

(أسرار تنوع الأفعال بإدغام المتماثلين وفكهما)

..... (يشاق ، يشاقق)

..... سياق (يشاق) وأسرار الإدغام

سياق (يشاقق) وأسرار الفك

(يغلّ — يغلل) وأسرار الفك والإدغام

(يرتدّ — يرتدد)

سياق (يرتد) وأسرار الإدغام

سياق (يرتدد) وأسرار الفك

(أتمّ — أتم)

سياق (أتم) وأسرار الإدغام

سياق (أتمم) وأسرار الفك

(يحلّ — يحلل)

سياق (يحل) وأسرار الإدغام

سياق سورة طه / ٨٦ وأسرار الفك والإدغام

(تمنّ — تمنن)

سياق (تمن) وأسرار الإدغام

سياق (تمنن) وأسرار الفك

(يمدّ — يمدد)

سياق (يمد) وأسرار الإدغام

سياق (يمدد) وأسرار الفك

(نقصّ — نقصص)

سياق (نقص) وأسرار الإدغام

سياق (نقصص) وأسرار الفك

..... (يمسّ — يمسس)

..... سياق (يمس) وأسرار الإدغام

..... سياق (يمسس) وأسرار الفك

..... (يضل — يضلل)

..... سياق (يضل) وأسرار الإدغام

..... سياق (يضلل) وأسرار الفك

..... (يحب — يحبب)

..... سياق (يحب) وأسرار الإدغام

إسناد الفعل المدغم إلى لفظ الجلالة إثباتا ونفيا وأسراره .

..... إسناد حب الله للمؤمنين وأسرار الإدغام

..... سياق (يحبب) وأسرار الفك

الفصل الثاني

(أسرار تنوع الأفعال بإدغام المتماثلين بعد الإبدال

وفكهما)

..... (يزكى — يتزكى)

..... سياق (يزكى) وأسرار الإدغام

..... سياق (يتزكى) وأسرار الفك

..... (يضرعون — يتضرعون)

..... سياق (يضرعون) وأسرار الإدغام

..... سياق (يتضرعون) وأسرار الفك

(يدبروا — يتدبروا)	
سياق (يدبروا) وأسرار الإدغام	
سياق (يتدبرون) وأسرار الفك	
(يذكرون — يتذكرون)	
سياق (يذكرون) وأسرار الإدغام	
سياق (يتذكرون) وأسرار الفك	
إجمال لأسرار الإدغام	
إجمال لأسرار الفك	
الخاتمة	
المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	

